المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين www.almokhtar-aleslami.com

العدد ٣٧٧ - السنة ٣٥ - ٢٩ المحرم ١٤٣٤هـ - ٣ ديسمبر ٢٠١٣م - الثمن خمسة جنيهات

من روجيه جارودى إلى عبد الوهاب المسيرى

الحداثة البديل

إن الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة ألا تخافوا ولا
تحزنوا وأبشروا بالجنة
التي كنتم توعدون

أنور الجندى .. مؤرخ الفكر والثقافة الإسلامية

مع الباعة والمكتبات ودور النشر

خصم ٢٠٪ لقراء المختار الإسلامى وللجملة سعر خاص

اسم الكتاب	اسم المؤلف	السعر
الظل الأسود	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
حارة اليهود	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
عذراء چاكرتا	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
ليالى تركستان	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
عمالقة الشمال	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
رحلة إلى الله	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
نور الله - الجزء الأول	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
نور الله - الجزء الثانى	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
على أبواب خيبر	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
سراييڤو حبيبتى	د. نجيب الكيلانى	٣,٠٠
أميرة الجبل	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
نهاية طاغية	د. نجيب الكيلانى	٣,٠٠
الرايات السوداء	د. نجيب الكيلانى	٧,٠٠
رمضان حبيبى	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
قاتل حمزة	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
عمر يظهر فى القدس	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
رجال الله	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
ملكة العنب	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
مذكرات د. نجيب الكيلانى جـ١	د. نجيب الكيلانى	١٥,٠٠
مذكرات د. نجيب الكيلانى جـ٢	د. نجيب الكيلانى	١٥,٠٠

ومقرنا : ٣ حارة الجمل - السيدة زينب - تليفون وفاكس ٢٣٩٢٢١٥١

في هذا العدد

- السلام عليكم ٢
- بلال بن رباح ٣
- لا تخافوا ولا تحزنوا ٦
- سورية الثورة .. الحساب السياسى ١٦
- مسلمون صهاينة ٢٢
- آخر معارك أردوغان ٣١
- أبو معزى ٣٦
- البرد فضحنا ٤٣
- من روجيه جارودى إلى عبد الوهاب المسيرى .. ٤٦
- سيد العظماء ٦٠
- السلطان عبد الحميد الثانى حياته وأحداث عهده ٦٨
- أنور الجندى مؤرخ الفكر والثقافة الإسلامية ... ٧٣

المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

تصدر عن

جمعية المختار الإسلامى

المسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية

٣ حارة الجمل

متفرع من ميدان السيدة زينب

أسسها حسين عاشور

(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)

تصدر غرة كل شهر عربى

رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩

المشرف العام

حسين عاشور

رئيس التحرير

د . محمد مورو

سكرتير التحرير

حنان حسين عاشور

الإشراف الفنى

على عبيد

الإدارة والتحرير

٣ حارة الجمل

متفرع من ميدان السيدة زينب

تليفون : ٢٣٩٢٢١٥١

فاكس : ٢٣٩٢٢١٥١

الاشتراك السنوى :

داخل مصر ٧٥ جنيها

خارج مصر ٥٠ دولارا أمريكيا

المراسلات والحوالات والشيكات باسم

حنان حسين أحمد عاشور

بريد إليكترونى

alim_ebeid@yahoo.com

mokh_51@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

مستوطنون يقتحمون الأقصى والاحتلال يعتقل مواطنا من داخله

اقتحم ٢٥ متطرفًا صهيونيًا صباح اليوم الثلاثاء ساحات المسجد الأقصى المبارك عبر باب المغاربة، بقيادة المتطرف "يهودا غليك"، وقاموا بجولة في ساحاته، يأتي ذلك في وقت اعتقلت فيه قوات الاحتلال صباح اليوم مواطنًا من ساحات المسجد الأقصى، ومنعت أربع سيدات من الدخول إليه.

وأفاد شهود عيان أن شرطة الاحتلال اعتقلت إيهاب الجلاد، مرشد سياحي في مصاطب العلم، أثناء عمله مع مجموعة من الطلبة في ساحات الأقصى.

وأضاف الشهود أن شرطة الاحتلال منعت أربع سيدات من الدخول إلى المسجد الأقصى، دون سبب، لافتين إلى أن الشرطة المتمركزة على البوابات فرضت منذ صباح اليوم قيوداً مشددة على دخول الشبان والنساء إلى المسجد.

جدير بالذكر أن وزير الأوقاف إسماعيل رضوان قال: "إن المسجد الأقصى يتعرض لمؤامرات خطيرة بدءاً من التقسيم الزماني للعبادة، مروراً بالتقسيم المكاني للأقصى، وصولاً إلى هدمه وبناء هيكل سليمان المزعوم على أنقاضه لا قدر الله".

وبيَّن أن الأمة في ذكرى مولد النبي تعيش محنة كبيرة، والمسلمون مضطهدون في كل بقاع الأرض، مشيراً إلى ما يتعرض له قطاع غزة من حصار وتجويع ومنع للغذاء والدواء والكهرباء والماء ومؤامرات تستهدف كسر إرادة الشعب الفلسطيني والقضاء على مقاومته الباسلة.

وربط رضوان بين ما يتعرض له المسلمون اليوم بما تعرض له النبي - صلى الله عليه وسلم - من ابتلاءات ومحن منذ اللحظة الأولى للدعوة الإسلامية، حيث تعرض للمضايقات والملاحقات في مكة والطائف من القريب والبعيد، مستعرضًا جوانب من سيرة النبي وحياته وهجرته وغزواته وجهاده ودعوته - صلى الله عليه وسلم -.

***

بلال بن رباح

فى ركب النبـوة .. حين كـان ينزل جبريل ..

وفى صفـوة أهل الحق .. أيام كـان بينهم محمد ﷺ ...

أخذ العبد الحبشى "بلال" مكانه فى السابقين، لم يمنعه أنه عبد من أن يحرر روحه لله، ومن أن يكون خازن رسول الله، ومؤذنه للصلاة ..

لم يسلم لمغنم دنيوى تبدى له فى دعوة محمد ﷺ، ولكنه أسلم والبلاء ينزل حوله بكل من أسلم !

كانت "لا إله إلا الله" ثورة أشعلتها العقيدة، ثورة على ظلم الإنسان لنفسه، حتى لا يعبد هواه من دون الله، وثورة على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان :

حتى يقوم الناس بالقسط لله رب العالمين .. ثورة على الظالمين فى كل أبيض وأسود .. فسرعان ما وجدت جنديها فى هذا العبد الحبشى الأسود : وقد كان ظلمه لنفسه أخف حملا، وفى ظلم الناس له أوفر نصيب ..

كان من أول من أظهروا الإسلام، ولقى من العذاب ما لم يلقه غيره، وثبت ثباتا لم يقدر عليه غيره من الأحرار ..

يقول عبد الله :

"أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سميه، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى بعمه أبى طالب .. وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم فى الشمس، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا، إلا بلالا، فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول :

أحد أحد .." .

لماذا خصوه هكذا بالعذاب ؟..

هل لأنهم استكبروا على هذا العبد أن يتطاول إلى عقيدة تخالف عقائدهم ؟..

هل لأنهم استهانوا به فأفرغوا فيه غيظهم وشفوا منه الغليل ؟..

أما الأولى فقد زادها ثباته اشتعالا ، وأما الثانية فقد ردها الله عليهم حين اشتراه أبو بكر فأعتقه، يقول إسماعيل بن قيس : اشترى أبو بكر بلالا وهو مدفون بالحجارة بخمس أواق ذهبا ، فقال له المشركون : لو أبيت إلا أوقيه واحدة لبعناكه .

قال : "لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته" .. ففغروا أفواههم دهشا وغيظا !!

***

وآثره النبى ﷺ بثقته طوال حياته، وحين تشق النبوة فقد وثقت السماء .. وحسبه ذلك فضلا لا يؤتيه الله إلا من أحب .

جعله ﷺ خازنه على ماله، وفى ذلك يقول عبد الله الهوزانى : "لقيت بلالا فقلت : يا بلال .. حدثنى كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ ؟..

فقال : ما كان له شئ، كنت أنا الذى ألى ذلك منذ بعثه الله عز وجل حتى تونى، وكان إذا آتاه الرجل المسلم فرآه عاريا يأمرنى به، فأنطلق فأستقرض وأشترى البردة وأكسوه وأطعمه" .

كان خازنه على ماله .. وأية خزينة هذه .. إلا خزينة التجرد والعفاف والخلق الرضى، دخل عليه رسول الله ﷺ فوجد عنده صبرا من تمر، فقال :

ما هذا يا بلال ؟.. قال : يا رسول الله ادخرته لك ولضيفك .. قال : "أما تخشى أن تكون له سجار من النار ؟.. أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش إقلالا" !!

ويقول ﷺ فيما يرويه أنس :

"لقد أخفت فى الله تعالى وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت على ثلاثون من يوم وليلة مالى ولا لبلال طعام يأكله أحد إلا شئ يواريه إبط بلال" .

عاش هكذا فى حجر النبوة، واتصل هكذا بخلق النبى ﷺ ، فلا تعجب إذا رأيت الرسول يطالب به كثيرين غيره، فيقول له : يا بلال مت فقيرا ولا تمت غنيا .. يقول له ذلك وهو القائل ﷺ :

"نعم المال الصالح للرجل الصالح" ولكنها خصوصية أولاها للذى خصه الله بصحبته، وميزان عال يعامل به أقرب أصحابه إليه، كأن ضريبة القرب من قيادة الأنبياء أن تعطى ولا تأخذ وأن تمضى إلى الله خفيفا !!

سأله بلال بعد أن قال له :

"يا بلال مت فقيرا ولا تمت غنيا" :

فكيف لى بذلك يا رسول الله ؟..

قال : "ما رزقت فلا تخبأ، وما سئلت فلا تمنع" .

فقال يا رسول الله، كيف لى بذلك ؟..

قال : "هو ذلك أو النار" .

كان رضى الله عنه رقيق القلب، صافى السريرة، دائم الصلة بالله .. يقول ﷺ : "سمعت فى الجنة خشخشة أمامى، فقلت : من هذا ؟..

قالوا : "بلال" .. فأخبره، ثم قال لبلال : "بم سبقتنى إلى الجنة ؟..

قال : يا رسول الله : ما أحدثت إلا توضأت، ولا توشأت إلا رأيت أن لله تعالى علىّ ركعتين فأصليهما ..

كان فى كل صحوته على وضوء، وذلك بكشف لك عن حاله مع ربه !!

***

وكان ندىّ الصوت، وكان رسول الله ﷺ يحب صوته، وأكرمه الله فى ذلك بمكرمة ما سبقه بها أحد، فهو أول من أذن فى الإسلام، وهكذا ارتفع صوت الإسلام أول ما ارتفع من فم عبد حبشى أسلم، من فم بلال، حتى يدرك فضله، وحتى يعلموا أن ليس لأبيض على أسود فضل !

***

فلما كانت خلافة أبى بكر رضى الله عنه، تجهز بلال ليخرج إلى الشام .. فقال له أبو بكر :

ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذا الحال، لو أقمت معنا فأعنتنا ..

فقال : إن كنت إنما أعتقتنى لله تعالى فدعنى أذهب إليه، وإن كنت إنما أعتقتنى لنفسك فاحبسنى عندك .. فأذن له فخرج إلى الشام فمات بها !..

رضى الله عنه وأرضاه فى الجنة ..
وألحقنا به فى الصالحين .

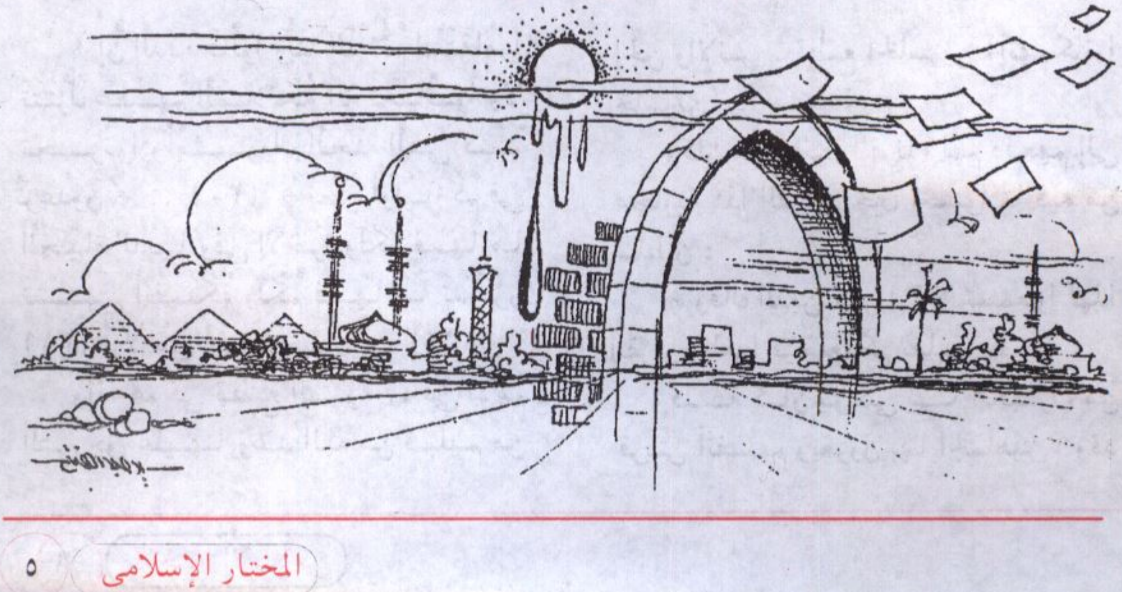

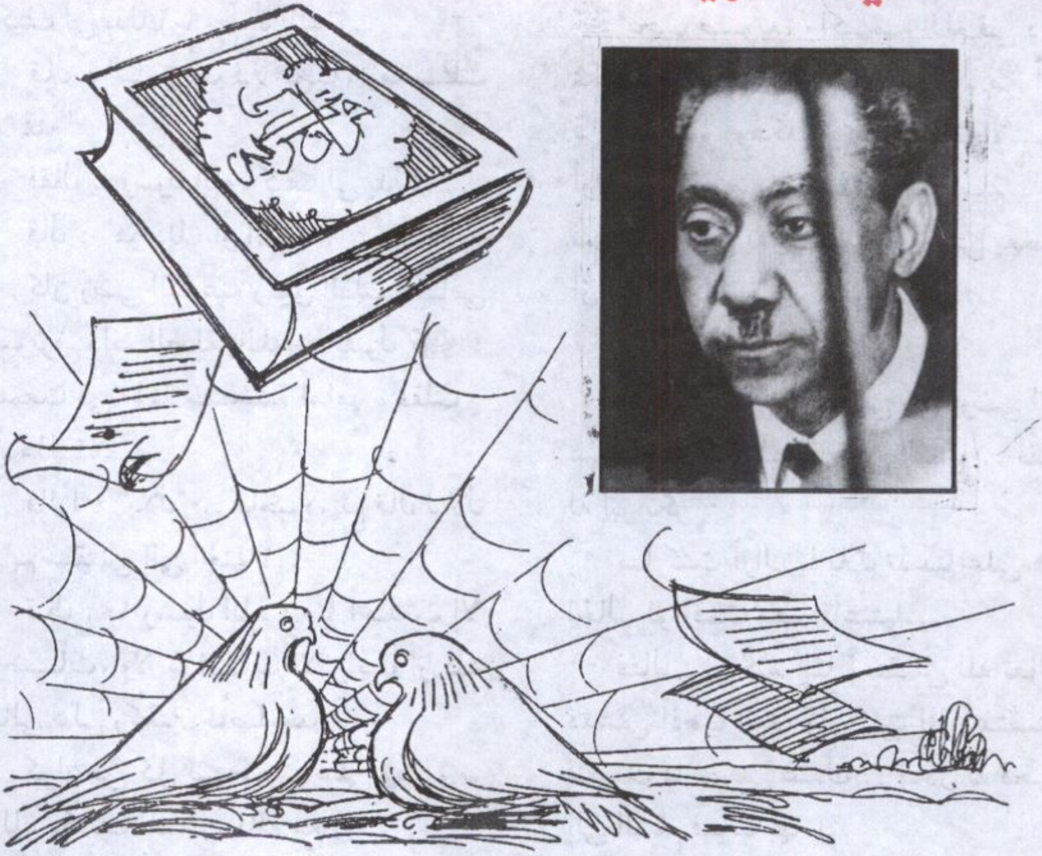

لا تخافوا .. ولا تحزنوا

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ .. (٣٠) ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ .. (٣٢)

وإذا هم في قطيع السوء .. في الأمم التي حق عليها وعد الله من قبلهم من الجن والإنس . قطيع الخاسرين (إنهم كانوا خاسرين).

وكان من تزيين القرناء لهم دفعهم إلى محاربة هذا القرآن، حين أحسوا بما فيه من سلطان :

﴿ وقال الذين كفروا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ .

كلمة كان يوصي بها الكبراء من قريش أنفسهم ويغرون بها الجماهير ؛ وقد

عجزوا عن مغالبة أثر القرآن في أنفسهم وفي نفوس الجماهير .

(لا تسمعوا لهذا القرآن) .. فهو كما كانوا يدعون يسحرهم، ويغلب عقولهم، ويفسد حياتهم .. ويفرق بين الوالد وولده، والزوج وزوجه .. ولقد كان القرآن يفرق نعم ولكن بفرقان الله بين الإيمان والكفر، والهدى والضلال .. كان يستخلص القلوب له، فلا تحفل بوشيجة غير وشيجته .. فكان هو الفرقان .

﴿ والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ .

وهي مهاترة لا تليق .. ولكنه العجز عن المواجهة بالحجة والمقارعة بالبرهان، ينتهي إلى المهاترة، عند من يستكبر على الإيمان .

ولقد كانوا يلغون بقصص اسفنديار ورستم كما فعل مالك بن النضر ليصرف الناس عن القرآن .. ويلغون بالصياح والهرج .. ويلغون بالسجع والرجز .. ولكن هذا كله ذهب أدراج الرياح وغلب القرآن، لأنه يحمل سر الغلب، إنه الحق .. والحق غالب مهما جهد المبطلون !

ورداً على قولتهم المنكرة يجيء التهديد المناسب :

(فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً، ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون .. ذلك جزاء أعداء الله النار، لهم فيها دار الخلد، جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) .

وسرعان ما نجدهم في النار .. وسرعان ما نشهد حنق المخدوعين، الذين زين لهم قرناؤهم ما بين أيديهم وما خلفهم وأغروهم بهذه المهلكة التي انتهى إليها مطافهم :

﴿ وقال الذين كفروا : ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس، نجعلهما تحت أقدامنا، ليكونا من الأسفلين ﴾ .

إنه الحنق العنيف، والتحرق على الانتقام: (نجعلهما تحت أقدامنا) .. (ليكونا من الأسفلين) .. وذلك بعد الموادة والمخادنة والوسوسة والتزيين !

تبشير المستقيمين على الهدى وثوابهم في الجنة

هذه صلة .. صلة الوسوسة والإغراء .. وهناك صلة .. صلة النصح والولاء .. إنهم المؤمنون .. الذين قالوا :ربنا الله ثم استقاموا على الطريق إليه بالإيمان والعمل الصالح .. إن الله لا يقيض لهؤلاء قرناء سوء من الجن والإنس ؛ إنما يكلف بهم ملائكة يفيضون على قلوبهم الأمن والطمأنينة ويبشرونهم بالجنة ويتولونهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله .. ثم استقاموا .. تتنزل عليهم الملائكة:ألا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون .. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة .. ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون .. نزلا من غفور رحيم ﴾ .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّه وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ..(٣٤)

والاستقامة على قولة : (ربنا الله) .. الاستقامة عليها بحقها وحقيقتها .. الاستقامة عليها شعوراً في الضمير وسلوكاً في الحياة .. الاستقامة عليها والصبر على تكاليفها .. أمر ولا شك كبير .. وعسير .. ومن ثم يستحق عند الله هذا الإنعام الكبير .. صحبة الملائكة وولاءهم ومودتهم .. هذه التي تبدو فيما حكاه الله عنهم .. وهم يقولون لأوليائهم المؤمنين : لا تخافوا .. لا تحزنوا .. أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون .. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة .. ثم يصورون لهم الجنة التي يوعدون تصوير الصديق لصديقه ما يعلم أنه يسره علمه ورؤيته من حظه المرتقب : (لكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون﴾ .. ويزيدونها لهم جمالاً وكرامة : ﴿نزلاً من غفور رحيم﴾ .. فهي من عند الله أنزلكم إياها بمغفرته ورحمته .. فأي نعيم بعد هذا النعيم ؟

من صفات الدعاة الناجحين

ويختم هذا الشوط برسم صورة الداعية إلى الله ووصف روحه ولفظه وحديثه وأدبه .. ويوجه إليها رسوله ﷺ وكل داعية من أمته .. وكان قد بدأ السورة بوصف جفوة المدعوين وسوء أدبهم وتبجحهم النكير .. ليقول للداعية : هذا هو منهجك مهما كانت الأمور :

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال:إنني من المسلمين ! ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم .. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .. وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ .

إن النهوض بواجب الدعوة إلى الله في مواجهة التواءات النفس البشرية وجهلها واعتزازها بما ألفت واستكبارها أن يقال : إنها كانت على ضلالة وحرصها على شهواتها وعلى مصالحها وعلى مركزها الذي قد تهدده الدعوة إلى إله واحد كل البشر أمامه سواء .

إن النهوض بواجب الدعوة في مواجهة هذه الظروف أمر شاق .. ولكنه شأن عظيم :

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال : إنني من المسلمين﴾ .

إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء .. ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة ؛ ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات .. فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ .

ولا على الداعية بعد ذلك أن تتلقى كلمته بالإعراض، أو بسوء الأدب، أو

بالتبجح في الإنكار .. فهو إنما يتقدم بالحسنة .. فهو في المقام الرفيع ؛ وغيره يتقدم بالسيئة .. فهو في المكان الدون :

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ .

وليس له أن يرد بالسيئة، فإن الحسنة لا يستوي أثرها - كما لا تستوي قيمتها - مع السيئة والصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر، يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة، فتنقلب من الخصومة إلى الولاء، ومن الجماح إلى اللين :

﴿ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ .

وتصدق هذه القاعدة في الغالبية الغالبة من الحالات .. وينقلب الهياج إلى وداعة .. والغضب إلى سكينة .. والتبجح إلى حياء ؛ على كلمة طيبة، ونبرة هادئة، وبسمة حانية في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام !

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ .. (٣٥)
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .. (٣٦)

ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجاً وغضباً وتبجحاً ومروداً .. وخلع حياءه نهائياً، وأفلت زمامه، وأخذته العزة بالإثم.

غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإساءة والرد .. وهذه القدرة ضرورية لتؤتي السماحة أثرها .. حتى لا يصور الإحسان في نفس المسيء ضعفاً .. ولئن أحس أنه ضعف لم يحترمه، ولم يكن للحسنة أثرها إطلاقاً .

وهذه السماحة كذلك قاصرة على حالات الإساءة الشخصية .. لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين عنها .. فأما في هذا فهو الدفع والمقاومة بكل صورة من صورها .. أو الصبر حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

وهذه الدرجة، درجة دفع السيئة بالحسنة، والسماحة التي تستعلي على دفعات الغيظ والغضب، والتوازن الذي يعرف متى تكون السماحة ومتى يكون الدفع بالحسنى .. درجة عظيمة لا يلقاها كل إنسان .. فهي في حاجة إلى الصبر .. وهي كذلك حظ موهوب يتفضل به الله على عباده الذين يحاولون فيستحقون :

﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ .

إنها درجة عالية إلى حد أن رسول الله ﷺ وهو الذي لم يغضب لنفسه قط ؛ وإذا غضب لله لم يقم لغضبه أحد .. قيل له - وقيل لكل داعية في شخصه - :

﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله، إنه هو السميع العليم﴾ .

فالغضب قد ينزغ .. وقد يلقي في الروع قلة الصبر على الإساءة .. أو ضيق الصدر عن السماحة .. فالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم حينئذ وقاية، تدفع محاولاته، لاستغلال الغضب، والنفاذ من

ثغرته .

إن خالق هذا القلب البشري، الذي يعرف مداخله ومساربه، ويعرف طاقته واستعداده، ويعرف من أين يدخل الشيطان إليه، يحوط قلب الداعية إلى الله من نزغات الغضب .. أو نزغات الشيطان .. مما يلقاه في طريقه مما يثير غضب الحليم .

إنه طريق شاق .. طريق السير في مسارب النفس ودروبها وأشواكها وشعابها، حتى يبلغ الداعية منها موضع التوجيه ؛ ونقطة القياد !!!

آيات وأدلة على الوحدانية من الكون والآفاق وطبيعة الإنسان

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .. (٣٧) .

هذا شوط جديد مع القلب البشري في مجال الدعوة .. يبدأ بجولة مع آيات الله الكونية : الليل والنهار والشمس والقمر، وفي المشركين من كان يسجد للشمس وللقمر مع الله .. وهما من خلق الله .. ويعقب على عرض هذه الآيات بأنهم إن استكبروا عن عبادة الله فهناك من هم أقرب منهم إلى الله يعبدونه .. ثم هناك الأرض كلها في مقام العبادة وهي تتلقى من ربها الحياة، كما تلقوها فلم يتحركوا بها إلى الله .. إنما هم يلحدون في آيات الله الكونية، ويجادلون في آياته القرآنية ؛ وهو قرآن عربي غير مشوب بأعجمية .. وينتقل بهم إلى مشهد من مشاهد القيامة .. ثم يعرض عليهم أنفسهم عارية بكل ما فيها من ضعف وتقلب ونسيان، وبكل ما فيها من حرص على الخير وجزع من الضر .. ثم هم لا يقون أنفسهم من شر ما يصيبها عند الله .. وتنتهي السورة بوعد الله سبحانه أن يكشف للناس عن آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، ويذهب ما في قلوبهم من ريب وشك .

خضوع المخلوقات لله ودعوة إلى عبادته وعدم الشرك به

﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر .. لا تسجدوا للشمس ولا للقمر .. واسجدوا لله الذي خلقهن .. إن كنتم إياه تعبدون ﴾ .

وهذه الآيات معروضة للأنظار، يراها العالم والجاهل .. ولها في القلب البشري روعة مباشرة .. ولو لم يعلم الإنسان شيئاً عن حقيقتها العلمية .. فبينها وبين الكائن البشري صلة أعمق من المعرفة العلمية . بينها وبينه هذا الاتصال في النشأة، وفي الفطرة، وفي التكوين .. فهو منها وهي منه . تكوينه تكوينها، ومادته مادتها، وفطرته فطرتها، وناموسه ناموسها، وإلهه إلهها .. فهو من ثم يستقبلها بحسه العميق في هزة وإدراك مباشر لمنطقها العريق !

لهذا يكتفي القرآن غالبا بتوجيه القلب إليها، وإيقاظه من غفلته عنها، هذه الغفلة التي ترد عليه من طول الألفة تارة، ومن تراكم الحواجز والموانع عليه تارة .. فيجلوها القرآن عنه، لينتفض جديداً حياً يقظاً يعاطف هذا الكون الصديق، ويتجاوب معه بالمعرفة القديمة العميقة الجذور .

وصورة من صور الإنحراف تلك التي تشير إليها الآية هنا .. فقد كان قوم يبالغون في الشعور بالشمس والقمر شعوراً منحرفاً ضالاً فيعبدونهما باسم التقرب إلى الله بعبادة أبهى خلائقه ! فجاء القرآن ليردهم عن هذا الانحراف ؛ ويزيل الغبش عن عقيدتهم المدخولة .. ويقول لهم : إن كنتم تعبدون الله حقاً فلا تسجدوا للشمس والقمر .. ﴿ واسجدوا لله الذي خلقهن ﴾ فالخالق هو وحده الذي يتوجه إليه المخلوقون أجمعين .. والشمس والقمر مثلكم يتوجهون إلى خالقهما فتوجهوا معهم إلى الخالق الواحد الذي

يستحق أن تعبدوه .. ويعيد الضمير عليهما مؤنثاً مجموعاً : (خلقهن) باعتبار جنسهما وأخواتهما من الكواكب والنجوم ؛ ويتحدث عنهن بضمير المؤنث العاقل ليخلع عليهن الحياة والعقل، ويصورهن شخوصاً ذات أعيان !

فإن استكبروا بعد عرض هذه الآيات، وبعد هذا البيان، فلن يقدم هذا أو يؤخر ؛ ولن يزيد هذا أو ينقص .. فغيرهم يعبد غير مستكبر :

﴿ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار، وهم لا يسأمون ﴾ .

وأقرب ما يرد على القلب عند ذكر (الذين عند ربك) الملائكة .. ولكن قد يكون هنالك غير الملائكة من عباد الله المقربين ؛ وهل نعلم نحن شيئاً إلا اليسير الضئيل ؟!

هؤلاء .. الذين عند ربك . وهم أرفع وأعلى .. وهم أكرم وأمثل .. لا يستكبرون كما يستكبر أولئك المنحرفون ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ (٣٨) ﴾ ..

الضالون في الأرض .. ولا يغترون بقرب مكانهم من الله .. ولا يفترون عن تسبيحه ليلاً ونهاراً ﴿ وهم لا يسأمون ﴾ .. فماذا يساوي أن يتخلف من أهل الأرض من يتخلف في حقيقة العبودية لله من الجميع ؟

وهنالك الأرض - أمهم التي تقوتهم - الأرض التي منها خرجوا وإليها يعودون. الأرض التي هم على سطحها نمال تدب ولا طعام لها ولا شراب إلا ما تستمده منها .. هذه الأرض تقف خاشعة لله، وهي تتلقى من يديه الحياة:

﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت .. إن الذي أحياها لمحيي الموتي، إنه على كل شيء قدير﴾ ..

ونقف لحظة أمام دقة التعبير القرآني في كل موضع .. فخشوع الأرض هنا هو سكونها قبل نزول الماء عليها .. فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت .. وكأنما هي حركة شكر وصلاة على أسباب الحياة .. ذلك أن السياق الذي وردت فيه هذه الآية سياق خشوع وعبادة وتسبيح، فجيء بالأرض في هذا المشهد، شخصاً من شخوص المشهد، تشارك فيه بالشعور المناسب وبالحركة المناسبة.

ونستعير هنا صفحة من كتاب "التصوير الفني في القرآن" عن التناسق الفني في مثل هذا التعبير:

"عبر القرآن عن الأرض قبل نزول المطر .. وقبل تفتحها بالنبات، مرة بأنها (هامدة)، ومرة بأنها (خاشعة) .. وقد يفهم البعض أن هذا مجرد تنويع في التعبير .. فلننظر كيف وردت هاتان الصورتان:

"لقد وردتا في سياقين مختلفين على هذا النحو:

"وردت (هامدة) في هذا السياق: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث، فإنا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة .. لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى؛ ثم نخرجكم طفلاً، ثم لتبلغوا أشدكم؛ ومنكم من يتوفى، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً .. وترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج﴾.

ووردت (خاشعة) في هذا السياق: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر .. لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهن، إن كنتم إياه تعبدون .. فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار، وهم لا يسأمون .. ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت).

"وعند التأمل السريع في هذين السياقين، يتبين وجه التناسق في (هامدة) و (خاشعة) .. إن الجو في السياق الأول جو بعث وإحياء وإخراج؛ فمما يتسق معه تصوير الأرض (هامدة) ثم تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج .. وإن الجو في السياق الثاني هو جو عبادة وخشوع وسجود، يتسق معه تصوير الأرض (خاشعة) فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت.

ثم لا يزيد على الاهتزاز والإرباء هنا، الإنبات والإخراج، كما زاد هناك، لأنه لا محل لها في جو العبادة والسجود .. ولم تجيء ﴿ اهتزت وربت ﴾ هنا للغرض الذي جاءتا من أجله هناك .. إنهما تخيلان حركة للأرض بعد خشوعها .. وهذه الحركة هي المقصودة هنا، لأن كل ما في المشهد يتحرك حركة العبادة، فلم يكن من

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) ﴾ ..

المناسب أن تبقى الأرض وحدها خاشعة ساكنة، فاهتزت لتشارك العابدين المتحركين في المشهد حركتهم، ولكي لا يبقى جزء من أجزاء المشهد ساكناً، وكل الأجزاء تتحرك من حوله .. وهذا لون من الدقة في تناسق الحركة المتخيلة يسمو على كل تقدير ؛ الخ .. الخ .

ونعود إلى النص القرآني فنجد أن التعقيب في نهاية الآية يشير إلى إحياء الموتى، ويتخذ من إحياء الأرض نموذجاً ودليلاً:

﴿ إن الذي أحياها لمحيي الموتى، إنه على كل شيء قدير ﴾ .

ويتكرر في القرآن عرض مثل هذا المشهد واتخاذه نموذجاً للإحياء في الآخرة، ودليلاً كذلك على القدرة .. ومشهد الحياة في الأرض قريب من كل قلب، لأنه يلمس القلوب قبل أن يلمس العقول، والحياة حين تنبض من بين الموات، توحي بالقدرة المنشئة إيحاء خفياً ينبض في أعماق الشعور .. والقرآن يخاطب الفطرة بلغتها من أقرب طريق ..

تهديد الملحدين بالعذاب

وأمام مشهد هذه الآيات الكونية ذات الأثر الشعوري العميق يجيء التنديد والتهديد لمن يلحدون في هذه الآيات الظاهرة الباهرة ؛ فيكفرون بها، أو يغالطون فيها :

﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا .. أفمن يلقى في النار خير ؟ أم من يأتي آمناً يوم القيامة . اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴾ ..

ويبدأ التهديد ملفوفاً ولكنه مخيف : ﴿ لا يخفون علينا ﴾ .. فهم مكشوفون لعلم الله .. وهم مأخوذون بما يلحدون، مهما غالطوا والتووا، وحسبوا أنهم مفلتون من يد الله كما قد يفلتون بالمغالطة من حساب الناس .

ثم يصرح بالتهديد : أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة ؟.. وهو تعريض بهم، وربما ينتظرهم من الإلقاء في النار والخوف والفزع، بالمقابلة إلى

مجيء المؤمنين آمنين .

وتنتهي الآية بتهديد آخر ملفوف : (اعملوا ما شئتم .. إنه بما تعملون بصير) .. ويا خوف من يترك ليعمل فيلحد في آيات الله .. والله بما يعمل بصير .

كلام عن القرآن وتنزيله ونقض شبهات الكفار ضده

ويستطرد إلى الذين يكفرون بآيات الله القرآنية، والقرآن كتاب عزيز قوي منيع الجانب، لا يدخل عليه الباطل من قريب ولا من بعيد :

﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم، وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد . ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك، إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم .. ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فصلت آياته ! أأعجمي وعربي ؟ قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء . والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر، وهو عليهم عمىً ، أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ .

والنص يتحدث عن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ؛ ولا يذكر ماذا هم ولا ماذا سيقع لهم .. فلا يذكر الخبر : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ .. كأنما ليقال : إن فعلتم لا يوجد وصف ينطبق عليها ويكافئها لشدة بشاعتها !

لذلك يترك النص خبر (إن) لا يأتي به ويمضي في وصف الذكر الذي كفروا به لتفظيع الفعلة وتبشيعها :

﴿ لا يَأْتيه الْبَاطلُ من بَيْن يَدَيْه وَلا منْ خَلْفه تَنزيلٌ مِّنْ حَكيم حَميد (٤٢) مَا يُقَالُ لَكَ إلا مَا قَدْ قيلَ للرُّسُل من قَبْلكَ إنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفرَة وَذُو عقَاب أَليم (٤٣) ﴾

(وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. تنزيل من حكيم حميد) .

وأنى للباطل أن يدخل على هذا الكتاب .. وهو صادر من الله الحق .. يصدع بالحق .. ويتصل بالحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض ؟

وأنى يأتيه الباطل وهو عزيز .. محفوظ بأمر الله الذي تكفل بحفظه فقال : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

والمتدبر لهذا القرآن يجد فيه ذلك الحق الذي نزل به، والذي نزل ليقره .. يجده في روحه ويجده في نصه .. يجده في بساطة ويسر .. حقاً مطمئناً فطرياً، يخاطب أعماق الفطرة، ويطبعها ويؤثر فيها التأثير العجيب .

وهو ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ .. والحكمة ظاهرة في بنائه، وفي توجيهه، وفي طريقة نزوله، وفي علاجه للقلب البشري من أقصر طريق .. والله الذي نزله خليق بالحمد . وفي القرآن ما يستجيش القلب لحمده الكثير .

ثم يربط السياق بين القرآن وسائر الوحي قبله ؛ وبين رسول الله ﷺ وسائر

الرسل قبله .. ويجمع أسرة النبوة كلها في ندوة واحدة تتلقى من ربها حديثاً واحداً، ترتبط به أرواحها وقلوبها، وتتصل به طريقها ودعوتها ؛ ويحس المسلم الأخير أنه فرع من شجرة وارفة عميقة الجذور، وعضو من أسرة عريقة قديمة التاريخ :

﴿ ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك .. إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ﴾ .

إنه وحي واحد، ورسالة واحدة، وعقيدة واحدة .. وإنه كذلك استقبال واحد من البشرية، وتكذيب واحد، واعتراضات واحدة .. ثم هي بعد ذلك وشيجة واحدة، وشجرة واحدة، وأسرة واحدة، وآلام واحدة، وتجارب واحدة، وهدف في نهاية الأمر واحد، وطريق واصل ممدود .

أي شعور بالأنس، والقوة، والصبر، والتصميم .. توحيه هذه الحقيقة لأصحاب الدعوة، السالكين في طريق سار فيها من قبل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وإخوانهم جميعاً - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؟

وأي شعور بالكرامة والاعتزاز والاستعلاء على مصاعب الطريق وعثرتها وأشواكها وعقباتها، وصاحب الدعوة يمضي وهو يشعر أن اسلافه في هذا الطريق هم تلك العصبة المختارة من بني البشر أجمعين ؟

إنها حقيقة : (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) .. ولكن أي آثار هائلة عميقة ينشئها استقرار هذه الحقيقة في نفوس المؤمنين ؟

وهذا ما يصنعه هذا القرآن، وهو يقرر مثل هذه الحقيقة الضخمة ويزرعها في القلوب .

ومما قيل للرسل وقيل لمحمد ﷺ خاتم الرسل :

﴿ إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ﴾ .

ذلك كي تستقيم نفس المؤمن وتتوازن . فيطمع في رحمة الله ومغفرته فلا ييأس منها أبداً .. ويحذر عقاب الله ويخشاه فلا يغفل عنه أبداً .

إنه التوازن طابع الإسلام الأصيل .

سورية الثورة.. الحساب السياسى وليس الحلال والحرام فقط

بعد أكثر من عامين ونصف العام على اندلاع الثورة السورية، لا بد من وقفة وجرد حساب المصالح والمفاسد، أو الحساب السياسي؛ لأن المسألة لا تقتصر فقط في الفكر الإسلامي على المشروع وغير المشروع أو الحلال والحرام، بل إن هناك الحساب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والدولي والإقليمي والداخلي في سورية؛ لاكتشاف مناطق وطرق كانت غير محسوبة أو محسوبة بطريقة جزئية أو خاطئة بشكل كامل أو شكل غير كامل .

على كل حال، فإننا كنا أمام نظام سوري طائفي أسَّسه حافظ الأسد الذي قتل من الشعب السوري من قتل، خاصة في حماه، وقتل من الشعبين اللبناني والفلسطيني ما قتل، وتحالف مع الأمريكان مراراً وتكراراً، ولم يطلق طلقة واحدة تجاه إسرائيل منذ عام ١٩٧٣، ثم فرض على الشعب السوري ابنه حاكماً وحيداً ومسيطراً، ليدشن تحالفاً من الفاسدين والرأسماليين من الأقارب والأصهار والعسكر من العلويين وغير العلويين، ودعم الشيعة في لبنان بصورة واضحة لا لبس فيها، ما جعل حزب الله اللبناني القوة الرئيسية في لبنان تحت شعار المقاومة وسلاح المقاومة، وغيرها من المسميات .

وكان لا بد والوضع هكذا من أن تندلع الثورة في سورية ضمن الثورات العربية أو ما يسمى الربيع العربي في تونس ومصر واليمن .

كانت الثورة سلمية؛ مظاهرات واعتصامات في كل مكان في سورية، وكان هذا يعني ضمن الربيع العربي أن النظام السوري الأشد استبداداً سيسقط في النهاية، وهذا يعني أن من الضروري استدراج الشعب السوري نحو عسكرة الثورة. صحيح أن النظام قد ارتكب من الفظائع والممارسات في سورية ما يجعل عند الشعب والأهالي الآن من الجرائم ما

بقلم: د. محمد مورو

يبرر أو يحتم ضرورة دفع هذا النظام والشبيحة بالقوة المتاحة كنوع من الدفاع الشرعي المباح عن النفس والعرض والمال، لكن هذا الحلال الواضح كانت له تداعياته غير الملائمة للثورة السورية في التحليل النهائي.

صحيح أنه حدثت انشقاقات واسعة داخل الجيش السوري، خاصة من الضباط والجنود السنة الذين رأوا أنه من الحرام قتل أهلهم بأيديهم، وتم تشكيل ما يسمى الجيش السوري الحر الذي أنجز على الأرض إنجازات هائلة كادت تودي بالنظام وتحقق نجاح الثورة. لكن أيدي النظام الشيطانية، أو أخطاء الثوار، دفعت بالمسألة نحو مسار غير مريح للثورة ولجميع الأطراف الدولية والإقليمية، حين بدأت تتوافد على سورية عناصر جهادية وسلفية إسلامية تحت زخم القيام بالواجب لنصرة الشعب السوري الشقيق، وهذا أيضاً لا بأس به شريطة أن يدخل هؤلاء في إطار الجيش السوري الحر، والعمل تحت إمرته، ووفقاً لحاجياته اللوجستية، لكن الذي حدث أنه بدأت تتشكل مجموعات خارج سيطرة الجيش السوري الحر ولا تعمل وفق أجندته العسكرية والسياسية، مثل: جبهة النصرة، ثم "داعش" (دولة العراق والشام الإسلامية)، وكان معنى هذا أن المعركة تحت صياغتها إعلامياً وسياسياً معركة بين النظام السوري والأصولية الإسلامية السنية السلفية، لتحويل الموضوع السوري إلى صراع دموي وليس ثورة، وكذلك وصول إحساس إلى القوات الدولية والإقليمية التي لها مصالح وتوجهات معروفة ومعلنة تجاه الأصولية الإسلامية، وخاصة القاعدة.

حققت جبهة النصرة ثم داعش إنجازات عسكرية على الأرض، مما جعلهما طرفين رئيسيين في الصراع، وهذا أضاف دولاً مثل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ثم دولاً إقليمية من إمكانية قيام نظام تابع للقاعدة في سورية، وهو أمر لا يريدونه لهؤلاء بالمرة، فبدأ الدعم الإقليمي والدولي غير المحدود للثورة السورية يدخل في حسابات أكثر تعقيداً.

لنقل مثلاً إنه تم قيام تكتل سني أصولي سلفي في سورية، لن يكون قاعدة

خواطر مسلم

للإرهاب المزعوم أو غير المزعوم في العالم، من يضمن أن هذه القاعدة لن تكون جاذبة مغناطيسية لكل من يريد الجهاد ضد إسرائيل مثلاً؟ وهذا شيء جميل وأخلاقي ورائع، لكن في الحساب السياسي للثورة السورية سيئ جداً؛ لأن إسرائيل لن تقف متفرجة، إنها ستدعم النظام السوري أو تسمح لحزب الله بدعمه مثلاً .. من يضمن أن هذه القاعدة لن تكون جاذبة لكل من يريد الجهاد ضد أمريكا ؟ وهذا يجعل أمريكا تفكر ألف مرة قبل السماح بهذا .

من يضمن أن تكون سلوكيات هؤلاء منضبطة بقتال الكفار من الأمريكيين والإسرائيليين وعدم الصراع مع المسلمين الآخرين الذين لا يرون رؤيتهم، سواء كانوا يكفرونهم أو يفسقونهم أو يتهمونهم بالعمالة لأمريكا وإسرائيل أو يرون القتال في دول عربية وإسلامية أخرى واجباً شرعياً، ألا يؤدي ذلك إلى اختلاط الأمور وتغيير الحسابات الإقليمية بشأن الثورة السورية ؟!

لنأخذ مثلاً ما حدث في العراق، حيث قام المجاهدون عموماً، ومن ضمنهم من انتمى للقاعدة، بدور كبير في مواجهة الاحتلال الأمريكي للعراق، بل حققت انتصاراً رائعاً في عام ٢٠٠٥ وسيطرت عملياً على المنطقة الغربية السنية في العراق، لكنها تصرفت سلوكياً وسياسياً مع أهل المنطقة السنية بطريقة لا تتناسب مع عادات هؤلاء الناس، حتى لو كانت شرعية من وجهة نظر هؤلاء، أدت إلى ظهور الصحوات التي ما كانت تتجمع لولا الطفولة السياسية والسلوكية لهؤلاء المجاهدين، ما حجّم إلى حد كبير هذا الانتصار، ووصل الأمر إلى قيام نظام طائفي في العراق للشيعة وللمالكي تجذّر فيه مركز القيادة .

لنترك المسألة العراقية ونعود لنكتشف أن هؤلاء أنفسهم مارسوا نفس الشيء في سورية، فنفر منهم قطاع كبير من أهل سورية، وهذا أفاد النظام السوري جداً، بل وصل الأمر إلى حد إقامة مناطق فاصلة بهم تم تحريرها من الجيش السوري الرسمي أو حتى على حساب الجيش السوري الحر، بل أحياناً بالقتال والصدام معه .

بل ظهرت مشروعات مثل قيام دولة العراق والشام الإسلامية، أي المناطق السنية في العراق مع المناطق السنية في سورية؛ وهذا يؤدي تلقائياً إلى قيام دولة علوية، ودولة كردية، ودولة درزية، في المنطقة، بل دولة شيعية .

مع الأخذ في الاعتبار أن السير في هذا الاتجاه سيدعم تدخّل حزب الله بـ ٣٠ ألف مقاتل لصالح بشار، وكذا تدخّل الحرس الثوري الإيراني، وتدخّل شيعة

العراق عن طريق جيش أبو الفضل العباس، أو جيش المهدي. صحيح أن هذا التدخل كان أمراً واقعاً في البداية، لكنه لم يكن يمتلك غطاء سياسياً إلا بعد ممارسات الطفولة السياسية التي مارسها بعض المجاهدين، لنأخذ مثلاً موقف أكراد سورية الذين انضموا إلى الثورة في البداية، ثم ما لبثوا إلا أن تنكروا للثورة وقاتلوا جيش النصرة ثم داعش ثم الجيش الوطني الحر؛ لأن المشروع الذي تبشّر به داعش خطر عليهم، وهكذا فنحن أمام تحرك كردي عراقي، وكردي من تركيا "حزب العمال الكردستاني التركي"، وهو حزب مسلح ومدرب وله كوادر في العراق وتركيا، وهذا التحرك نجح في رفع سقف مطالب أكراد سورية والعراق وتركيا إلى التفكير في دولة كردية في مناطق الأكراد التي التحمت ببعضها الآن في الدول الثلاث، وهذا يخيف المؤسسة التركية في الحكومة والمعارضة على حد سواء، ويجعل حكومة رجب طيب أردوغان في موقف ضعيف أمام الشعب التركي خوفاً على تمزّق تركيا، حتى لو كانت حكومة أردوغان متعاطفة جداً مع الشعب السوري.

بعد أكثر من عامين ونصف العام على الثورة السورية، وبعد أن سقط من ١٥٠ - ٢٥٠ ألف شهيد، و٤٠٠ ألف من الجرحى، وهناك ٥٠٠ ألف ملاحقون أمنياً، ونحو ٦٠ ألف معوق سوري بإعاقة كاملة، و٧ ملايين مهجر في الداخل والخارج، وتدمير نحو ٦٠٪ من المنازل السورية، وحصار أكثر من نصف سكان سورية تحت وطأة الجوع، ونحو ٣٠٠ ألف معتقل، و١٠٠ ألف مفقود لا يعلم أحد عنهم شيئاً، والأرقام في هذا الصدد لا تُعدّ ولا تُحصى، بل هناك جيل أو أكثر قد تم تعويقه بصورة ما .. بعد كل هذا الخراب السياسي من المفروض أن تكون هناك محاولة للحساب السياسي وليس الحلال والحرام والمشروع وغير المشروع فقط، وأنا هنا لا أطرح حلاً بعينه، فمن الضروري أن نحاسب القتلة وننصر الثورة، لكن الإبداع السياسي الإسلامي يقتضي البحث عن طريق يحقق هذا، مع الأخذ في الاعتبار كل العوامل السابق الحديث عنها إقليمياً ودولياً وداخلياً، وليس تجاهلها والتعالي عليها بدعوى أن الحق حق وكفى الله المسلمين شر البحث والتحليل والإبداع واختراق هذا الحاجز المرئي من الحسابات السياسية المعقّدة.

أضف إلى كل هذا الرغبة الروسية في تأمين تواجد لها في المنطقة وتصاعد رغبتها في التواجد الإقليمي والدولي مرة أخرى على حساب الولايات المتحدة الأمريكية أو باقتسام الكعكة معها، إضافة إلى أن أمريكا مأزومة اقتصادياً وتسعى أيضاً إلى التفاهم مع إيران على حساب دول المنطقة، طبعاً ويمكن لإيران أن تتفاهم في الموضوع النووي مثلاً في مقابل استمرار النظام السوري بصورة أو بأخرى.

وهكذا، فـإن من الخطأ والخطيئة، بل من الحـرام شـرعـاً، عـدم إدراك كل هذه العوامل والحسابات، ومن الضروري هنا أن أقـول قـولاً قـاسيـاً للإسـلامـيين عـمـومـاً وللمجـاهدين المخترقين وغـيـر المخـتـرقين بأجهزة استخبارات؛ إن المراهقة السياسية وضيق الأفق مرض أطفال، وهذا مثال أحد الزعمـاء الماركسيين - وهم كفار طبعـاً - وهو فـلاديمـيـر لينين - زعـيم الثـورة البلشـيـفـيـة في روسـيـا سنة ١٩١٧-، أن الشيـوعـيـة اليسـارية مرض أطفال، وكان يسكن إلى التطرف وعـدم الحـسـاب السياسي والتمسّك بقواعد جامدة يمكن أن تكون ضرراً فادحاً لقضيته وقضية الفكرة التي كان يؤمن بها .. والله تعالى أعلم.

الرافضون للغة العربية لا هم أقباط ولا هم وطنيون

مـثلمـا يعـتـز المسلم باللغـة العـربيـة باعتبـارها لغة القرآن الكريم وباعـتبـارها وعاء لثقافته وحضارته، فإن القبطي أيضاً يعـتـز بتلك اللغـة أي اعـتـزاز باعـتـبـارها وعاء أيضا لثقافته وحضارته.

وتحطيم اللغة العربية هدف استعماري ثابت قـديم جديد يسـتـهـدف كمـا يقـول أستاذ الجيل محمود محمد شاكر بلبلة العقل العربي وتشكيكه في نفسه وتحطيم الرابطة الأولى والأخيـرة في حيـاة العـرب وهي اللغـة بتـمـزيقـهـا إلى لغـات، وإلى تدمير الجسر الذي عاش أربعة عشر قرنًا يجمع القلوب الممتدة من الشمـال البعيد إلى الجنوب القـصي، ومن الشـرق النازح إلى الغـرب المتبـاعـد، على كلمـة واحدة وعاطفة واحدة ورأي عام واحد.

فـالصـراع حـول اللغـة العـربيـة، والدعوات المشبوهة إلى اللغة العامية أو اللهجات المحلية أو إحياء الفرعونية أو تعلم اللغة القبطية في الكنائس، أو إلغاء الحروف العـربيـة واسـتـبـدالهـا الحـروف اللاتينية بما هي في جوهرها معركة حول الاستقلال والتبعية، فالاستعمار وعملاؤه يريدون القضاء على اللغة العربية للقضاء على ثقافتنا وحضارتنا وتسليمنا للتبعية الثقافية للغرب وبالتالي تسليم مقدراتنا وثرواتنا ونزع عوامل المقاومة الذاتية داخل الجسد الوطني خدمة لأهداف الاستعمار وإذا كان هناك أقباط دعوا أو يدعون إلى اللهجات العامية أو تعلم اللغة القبطية أو جعل تعلم اللغة العـربيـة اخـتـيـارياً في المدارس أو غـيـرها من الدعـوات المشـبـوهة مثل سلامة موسى، ولويس عوض، وغالي شكري، فـإن هؤلاء هنا لا ينطلقـون من قـبطيـة صـحـيـحـة، لأن هؤلاء مـعـروفـون بعـدائهم للمـشـروع الحـضـاري الوطني ودعوتهم للمشروع الحضاري الغربي، وهم هنا غير وطنيين مثلهم مثل مسلمين غير وطنيين دعوا إلى نفس الدعوة وقالوا نفس

الكلام مثل أحمد لطفي السيد وطه حسين وغيرهما وهم أيضاً معادون للمشروع الحضاري الوطني وداعون إلى المشروع الحضاري الغربي وإذا نظرنا إلى رموز هذه الدعوة المشبوهة نجدها تضم أساساً الاستعماريين والتبشيرين وصنائع الاستعمار والتبشير الذين تبنوا هذه الدعوة المريبة .

والدليل على أن موقف بعض الأقباط من المسألة ليس إلا موقفا نابعاً من العمل في خدمة المشروع الاستعماري وأنه لا صلة له بقبطيتهم المشكوك فيها أساساً أن هناك من المفكرين الأقباط مثل وليم سليمان قلادة من يرفض تلك الدعوات المشبوهة .

يقول وليم سليمان قلادة في كتابه "الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية" : (إن العامل الرئيسي الذي دعم وحدة الشعب المصري هو أنه منذ وقت مبكر أخذ الشعب يتكلم ويتعامل بلغة واحدة هي العربية، ذلك أنه مع دخول الإسلام إلى أرض مصر جاءت معه اللغة العربية وصار في مصر لسانان العربي

والقبطي ولو استمر هذا لكان على أرض مصر شعبان، لكل منهما ثقافته ووعيه ونظريته ولصعب التفاهم بين الشعبين) ثم يضيف : (وبهذا حدثت معجزة التفاهم داخل الشعب المصري، لأن اللغة هي التي تصنع التصور وتكون الوعي والنظرية إلى الذات وإلى العالم وتربط العلاقات بين البشر وتعبر عنها فيما بينهم، وإن ما حدث في مصر في هذا المجال فتح الطريق أمام شعب مصر كله ليتفاهم بلغة يتحدث بها بشر في رفقة تمتد من المحيط إلى الخليج، وبهذه اللغة يدخل الشعب المصري بكل قوته البشرية والمادية وبكل تراثه الحضاري وينهض بقيادة معركة التحرر القومي والاجتماعي والثقافي مع مجموعة تبلغ اليوم - سنة ١٩٦٤ عندما ألف الأستاذ وليم سليمان قلادة كتابه وهم يبلغون اليوم أكثر من ٢٥٠ مليون - مائة مليون نسمة يقدم لهم نموذجاً رائداً في الوحدة والتفاهم وتشكل المؤلفات المسيحية المصرية المكتوبة باللغة العربية جزءاً هاماً من التراث الثقافي المصري) .

ويسجل الأستاذ محمود محمد شاكر أن مسيحياً عربيًا هو الشيخ خليل اليازجي قام بنفسه بالرد على جريدة المقتطف عندما دعت إلى اللغة العامية وطالبت بالكتابة بها، وقد دافع هذا المسيحي العربي عن اللغة العربية دفاعاً مجيداً (عام ١٨٨١) .

د. محمد مورو

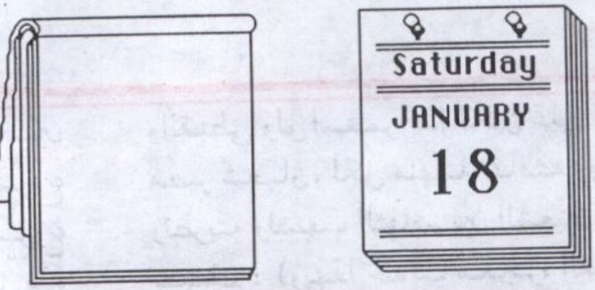

شهريـــــــات

رسالة أميركا

مسلمون صهاينة

ليس من الغـريب أن يلبس الإنسـان مسـوح الناسك على مسـرح الحيـاة، ويسلك سلوك الطالح المنفلت عندما يستتر عن أعين الناس؛ فالناسك الحقيقى لا يعلن على الملأ نسكه ولا يتباهى بتعبده. وليس غريبا أن يكون المرء يهوديا يدعى أنه مسلما ككمال أتاتورك، وغيره ممن غيـروا أسماءهم أو انتحلوا ملامح مسلمين، أو يهوديا بوذيا مثل بن جوريون، أو يهوديا مسيحيا كهلمة كثيرة مثل أعضاء جمعية يهود من أجل المسيح؛ فالكثير من اليهود يؤمن بأن اليهودية عرق وليست ملة .. وليس من الغـريب من يلبس رداء إسلاميا ويتحلى باسم إسلامى بينما ما يقبع داخل الجبة والقفطان من دم ولحم وفكر قد صنع على عين هرتزل وبن جوريون وأرباب الصهاينة الآخرين الذين اختـارهم الصهاينة أربابا من دون الله؛ ولكن الغريب أن يظهر أولئك على الملأ ليتكلموا باسم الإسلام بهدف ضرب الإسلام، وقيادة حملات الدعوة لإبادة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها؛ بل إن منهم من يدعى الالتزام بتعاليم الدين الإسلامى ويتطاول على المصطفى عليه الصلاة والسلام وعلى كتاب الله جهاراً وبواحاً دون مواراة سعياً لمرضاة أربابه الصهاينة .

د.عبد الفتاح الحسينى

وليس عجيباً أن يتحول مسلم عن دينه ليعتنق ديناً أكثر رواجاً تمشيا مع متطلبات الحياة، وسعياً لرزق يظن أنه آت من غير الله، ورجاء الفوز برضاء من يملك زمامه ويمسك بمقوده؛ إلا أن من الغريب أن يصحب ذلك التحول ادعاء المعرفة بالإسلام والتفقه فيه ليصبح بوقاً ينفخه الصهاينة فى تطاولهم على الله ورسوله عليه الصلاة والسلام؛ بدلاً من أن يروج لدينه الجديد وما ابتغاه غير الإسلام من دين .

وربما يدفع بعض المسيحيين بالتطاول على رسول الله صلوات الله عليه وسلامه جهلاً منهم بالإسلام رغم تعاليم المسيحية التى تدعوهم لمحبة العدو؛ إن كان المسلمون هم العدو الأكبر .. لكنها ليست مصادفة حين يعلن مبشر تلفزيونى حاقد يدعى إيمانه بالمسيح ويعمل على نشر المسيحية، حرباً شعواء على الإسلام بهدف نصرة الصهيونية والتهليل لما يقومون به من مذابح وفساد فى الأرض، ويفترى على الله ورسوله مستنداً إلى ما كتبه مسلمون ممن انقلبوا على أعقابهم أو تحولوا إلى دين آخر على أنهم حجة على الإسلام؛ مثل ما فعل المبشر جارى فولويل (واسمه يعنى "المتردى فى الهاوية بكفاءة نادرة") مؤخراً، الذى تطاول على محمد ﷺ كما تطاول من قبل ودون أدنى حياء على أنبياء الله ورسله .. ولقد ادعى المبشر الهابط على رأسه من قبل، أن الله هبط عليه من السماء وأمره أن يعيد كتابة الإنجيل بأسلوب عصرى مهذب ليس فيه الألفاظ النابية والفجة التى تظهر فى الإنجيل المتداول؛ حسب قوله .

أفاع تطل برءوسها

عندما يهبط الظلام تتسلل الهوام من مخابئها، تتجسس، فإذا ما اطمأنت وألقى الليل بخيمته السوداء انفرجت الجحور على مصاريعها وخرجت كل دابة تدب بليل هائمة ساعية؛ منها ما يتعسس، ومنها ما يلتمس الفتات من الرزق، ومنها ما يشتغل بالنخر والقرض، وبعضها لا يتحرج عن اللدغ أو إعمال أنيابه فى فريسته إذا اقتضى الحال؛ إلا أن كل ذلك إلى حين؛ فما إن تبزغ البشارات الأولى لأشعة الشمس حتى يهجع الكل إلى جحوره المعتمة متربصاً غيمة أو ضبابة

تحجب الشمس ليطل فى حرص يتحسس، عسى أن تكون عيون الخلق نائمة أو كروشهم متخمة، وأفئدتهم خاوية فتسنح الفرصة لمزيد من الهيام فى الظلام .

وإذا دقت طبول الحرب ونفر المتدافعون سعيا وراء غنائم من دماء مسفوحة وأشلاء متناثرة وعظام محطمة، نادى الدانى الجائع القريب من المعمعة على كل قاص من طير جارح أو وحش ضار أن أسرعوا فبساط مأدبة اللحوم الطازجة على وشك أن تمتد، حتى تمتلئ البطون، ويتجشأ المتخمون . فأهرعت السباع للغنيمة تزأر، وحلقت النسور والصقور تخفق بجناحيها ، يتبعها سراب من ضباع لا يضيرها أكل ميتة أو جيفة، وغربان تحوم وتحلق وهى تنعق فى بهجة، ثم أتبعهم من هم أقل منزلة؛ عسى أن تبقى لهم الوحوش الكاسرة فتاتا وشظايا عظم عليها نتف من لحم وقطرات دم جافة يلتهمونها .

فإذا ما فاحت رائحة الموت وتعفنت الأجساد ، زحفت الديدان على بطونها لا يضيرها رائحة نتنة أو وهج حر أو لذعات برد ؛ وانتشر الذباب الأزرق يحلق حول كل جيفة .

هكذا هو الحال عندما تضرم الحروب غير المعلنة فى كل مكان، وتشتعل نيران المعارك لا تبقى حابلا ولا نابلا، ولا تذر حرثا ولا نسلا. فما إن يتحدث علية القوم على أسماع المريدين بحرب ضروس على الإرهاب ومعاقله، وعلى من يتشيع لكل من يعجبه الحال، أطلت الحيات من جحورها بغية أن تؤدى دورا فى الميدان الجديد بعد أن أرهقها ظلمة الجحور وكآبة الاختباء وضيق الحال .

مشايخ صهاينة

"الأحباش" حركة تدعى أنها حركة صوفية إسلامية أنشأها يهودى حبشى فى لبنان ولها مركز فى إيطاليا أنشئ بالتعاون مع إسرائيل للدعوة بأن القدس من حق اليهود وحدهم دون غيرهم، فالمسلمون دخلاء والمسيحيون ما هم إلا يهود مارقون، وأن ما يحيق بالفلسطينيين من ضرار على أيدى الجيش الإسرائيلى هو أخف وطأة على البشرية مما قد يلحق بالبشرية من قتل وتدمير لو أطلق للفلسطينيين العنان ولم تهدم بيوتهم وتحصد أرواحهم .. ومما يروجون له أن الإرهابيين فى القرن العشرين هم جمال الدين الأفغانى ومحمد رشيد رضا وسيد قطب والإمام الخمينى وابن باز وغيرهم، بل إنهم ذهبوا إلى تكفير ابن تيمية وابن القيم. ويتهمون بعض أئمة المسلمين بأنهم أحلوا الخنزير وأنهم يسبون الرسول عليه الصلاة والسلام ويحرفون فى القرآن .

وللأحباش مركز كبير فى فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا لنشر دعوتهم المناهضة لأهل السنة والشيعة وقد تورطوا فى مقتل

الشيخ الألبانى وقبض على بعضهم فى بوسطن بتهمة القتل والسرقة والتخريب .. ومن تعاليمهم التى يمارسونها أن من حق المرأة الخروج عارية ما دامت ترتدى الحجاب ومن لا يريد صلاة الجمعة فعليه أن يضع بصلة فى جيبه .

و"الأحباش" يصرون على استباق أسمائهم بلقب شيخ ليضفوا على أنفسهم شرعية رجال ونساء الدين، وعلى رأسهم "الشيخة" عائشة التى تنشر على الإنترنت الأباطيل عن أئمة المسلمين باسم الغيرة على الإسلام. وهم الذين بدءوا الحملة على السلفيين واتهامهم بممالأة النصارى والعمل على تقويض دعائم الدين وتخصصوا فى الكتابة عن الوهابيين وموالاتهم للبريطانيين لنصرتهم على المسلمين.

ومن أعلام الأحباش فى أوروبا "الشيخ" الأستاذ عبد الهادى بلازى الأمين العام لجمعية مسلمى إيطاليا وإمام مسلمى إيطاليا ومدير المركز الثقافى الإسلامى ويقال إنه حاصل على درجة الدكتوراه فى العلوم الإسلامية بإجازة من المفتى الأكبر بالمملكة العربية السعودية، وهو أيضاً نائب رئيس منظمة الأخوة بين الإسلام وإسرائيل التى تدعو إلى التضامن الصهيونى الإسلامى .. وهو يزور إسرائيل هو وزوجته "دبورة" بانتظام ليحاضر عن دور المسلمين فى دعم الكيان الصهيونى وواجبهم فى تعزيز جهود إسرائيل فى محاربة حملات التضليل التى تقوم بها الحركات الإسلامية ضد الصهيونية .. وهو يفخر بما التقط له من صور مع قادة الصهيونية وينشرها على شبكة الإنترنت .

ومن أقطاب الأحباش "الشيخ" محمد هشام قبانى وهو لبنانى يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية ويؤدى دور مدير مركز "الأحباش" فيها .. كما أنه وجد لنفسه فرصة سانحة بعد الحادى عشر من نوفمبر ٢٠٠١ ليعمل مستشارا فى حملة مكافحة الإرهاب كرجل دين يمثل ما يسميه بالمسلمين المعتدلين .. ويرجع الفضل للشيخ قبانى فى اختراع اصطلاح "الخلايا النائمة" التى تردده وسائل الإعلام؛ وقد أدت أنشطته وتصريحاته إلى التحفظ على العديد من المسلمين فى الولايات المتحدة .

ووفقاً لرواية لدانيال بايبز كبير الصهاينة ومؤسس حركة الدفاع عن إسرائيل : "قال محمد هشام قبانى إن المتطرفين يسيطرون على ٨٠٪ من المساجد فى الولايات المتحدة الأميركية .. ليس المساجد فحسب بل المدارس، ومجموعات الشباب ومراكز محلية، ومنظمات سياسية، وهيئات حرفية. وكلهم يدعون إلى استبدال النظام الحالى فى الولايات المتحدة الأمريكية بنظام إسلامى" .. وقد نشرت تصريحاته الداعية لضرب المسلمين فى الولايات

المتحدة الأمريكية وإبادتهم مجلة نيوزماكس.كم التى تنشر على شبكة الإنترنت فى مقال "إنهاء ابتزاز السعودية بالتهديد"؛ الذى كتبه روث كنج، فى ٧ ديسمبر ٢٠٠١؛ حيث حذر الكاتب الأمريكيين من انتشار الإرهاب الإسلامى فى الولايات المتحدة الأمريكية بدعم سعودى؛ وفقاً لشهادة الشيخ قبانى رجل دين المسلم .

أنصاف متعلمين

الذى لا يعرف الألف من "كوز" الذرة تتملكه نشوة فرح عارمة عندما يقدر على "فك الخط"، والتمييز بين مفردات ما كان يبدو له على أنه نبش فراريج على التراب .. هذا بعد أن كاد يفوته قطار الإلمام بما يخطه القلم كواحد من سبل التفاهم الحديثة التى لا مفر منها عندما يعز على اللسان قول، وعندما لا يجد أذنا صاغية .. ومن شدة البهجة لا يكاد يقرأ كلمة حتى يحفظها ويرددها فخراً بما حقق لنفسه من دراية بعد عدم مقدرته على إدراك ما خط على الورق من كلمات .

فإذا ما ارتقى على سلم فك الخط وتيسر له قراءة سطر بطوله يصبح لهذا السطر قدسية فى نفسه يصدق كل ما ورد فيه من قول وإن لم يفقه له معنى أو يدرك له مغزى .. فالفهم موضوع آخر يحتاج لمشوار طويل .. لكن قصور الفهم لن يعيقه عن قراءة الجريدة لأقرانه وتأويل ما فيها وفقاً لمقتضى الحال .. كفاه أنه يقرأ وغيره يغط فى النوم بعيدا عن تيارات التنوير .. أما أقرانه فيسلمون بكل ما يقول فهو الوحيد بينهم القادر على فك طلاسم أصحاب المعرفة. وقلما يكون من بينهم الكيس الفطن الذى يدرك أن تعلم القراءة والمعرفة أمران بينهما هوة واسعة .

ولعل أخطر ما يحيق بالبشرية فى العصر الحالى هو التكاثر المتفجر لأصحاب الذاكرة الفوتوغرافية الذين ينطقون بما لا يفقهون ويفتون بما لا يعرفون .. فهم يحفظون كل ما يسمعون فى فصول المدارس ويقرءون دون تمييز أو تفكير أو تحقيق ويتتلمذون على أيدى من يرون أن التفوق فى التعليم لا يتأتى إلا بترديد الببغاوات دون إرهاق العقل بالتحليل والنقد. هذا خاصة فى دراسة العلوم الاجتماعية التى تعتمد على نظريات ما أنزل الله بها من سلطان وتقوم على أسس من أقوال متناقضة ومتضاربة تنتجها أفكار ظنية بعيدة عن المنهج العلمى وإن أدرجت فى أضابير الكتب العلمية؛ وما كان الظن ليغنى عن الحق شيئا .. ولقد غصت الحرف بخريجى هذه المدرسة النقلية رغم تردى أصحابها فى متاهات الجهل المركب الذى يتناقله جيل عن جيل سبقه .

وما كان للعلم أن يختفى وما كان للمعرفة أن تنحسر فى وجه أمواج الجهالة؛

لكن الطغمة التى تتصدر محافل الكلام هى التى حفظت ما لقنت وتردد ما لا تفقه؛ وهى الفرقة المفضلة عندما يغيب المنطق ويتملك المرجفون فى المدينة أبواق الإعلام .. لهذا نجد ملقبون بالدكترة والأستذة لا يزيدون شأنا على الذى تعلم فك الخط على كبر، بل إن من الأميين من لديه من قوة البصيرة وسداد الرؤية ما لا يحصل عليها صاحب الشهادات المعلقة على الحائط بعد سنين من تلقن العلم؛ فهناك فارق بين التلقن والتعلم .. وكما يقول المثل الأمريكى على من يتخرج من الجامعة أقل معرفة من يوم التحق بها "ما نابه غير ضياع عمره ومصاريف الدراسة." ومثل آخر لا أدرى من أطلقه : "البردعة الجوخ لن تضفى حلاوة على نهيق الحمار".

تصهين الأفندى

مأمون الفندى مصرى مسلم يعمل كمحاضر فى مركز الدراسات الاستراتيجية للشرق الأدنى وجنوب آسيا فى جامعة الدفاع القومى : مدرسة للدفاع المدنى بواشنطن؛ يشارك فى ندوات مراكز صهيونية عديدة تختص بالدراسات السياسية للشرق الأوسط، ويظهر فى العديد من برامج الحوار على التلفزيون الأمريكى .. وهو يكتب بصورة منتظمة فى جريدة واشنطن بوسط الأمريكية؛ وله عمود أسبوعى فى جريدة الأهرام (بالطبع يحجم فيه عن مهاجمة الغرب) .

رغم ما يظهره الفندى من عصبية لمصريته، وما يبديه من مبالغة فى امتداحه المبتذل للحكومة المصرية، فمن الصعب عليه أن يخفى حقده على كل مصرى ناجح فى بلاده وتبرئه من كل ما هو مصرى من عادات وتقاليد، وتنديده بكل من هو مسلم، ونقمته على كل ما هو عربى . ولا يكاد يكل عندما يهاجم الإسلام بلا هوادة على أنه دين الرجعية والإرهاب؛ ويحمل على الدول العربية والإسلامية أنهم رعاة الإرهاب فى العالم وأنهم مثل حى للتأخر بين شعوب العالم لتشبثهم بالإسلام .

وتتصف مقالاته وأحاديثه بالتملق الشديد للإدارة الأمريكية والتعصب الشديد لكل ما هو غربى والازدراء العنيف لكل ما هو إسلامى أو عربى؛ متخذا من الأسباب فى موقفه هذا أنه خبير عاشر المسلمين والعرب كواحد منهم، ويحاول استخدام خلفيته المصرية ونشأته الإسلامية وكونه عمل فى السعودية على أنه مصدر الخبر اليقين عندما يتهجم على العرب والمسلمين فى الندوات الصهيونية الإعلامية .

ورغم مهاجمته الدءوب لقناة الجزيرة الفضائية فقد ظهر عليها فى ندوة من واشنطن عن "أولى حروب القرن"؛ وإن أحجم عن مهاجمة أى نظام غربى فى البرنامج. من مقالاته مقال "إذا أردت

الوصول إلى العرب؛ غير المحطة" نشر فى جريدة واشنطن بوست؛ الأحد ٢ ديسمبر ٢٠٠١ حيث دعت فيه الإدارة الأمريكية إلى مقاطعة قناة الجزيرة وعدم المشاركة فى برامجها لعدائها السافر للولايات المتحدة الأمريكية ومساندة القناة الفضائية المصرية التى تروج للسياسة الأمريكية فى العالم العربى.. وقد استشهد فى مقاله بمقولة لعبد الرحمن الرشيد رئيس تحرير جريدة الشرق الأوسط الذى وصفه بأنه من الصحفيين العرب الذين يحبون الولايات المتحدة الأمريكية بلا خجل: "يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية تكافئ فقط أولئك الذين يكنون لها البغض ويكرهون سياستها؛ فالأمريكيون يعطون أهمية لوسائل الإعلام التى تحرض ضدهم وتغازل الإرهابيين".

ويفخر الفندى بأنه اخترع كنية جديدة للعرب هى "مجموعة بن لكن" (بالمضاهاة مع مجموعة بن لادن الشهيرة فى عالم المقاولات) لتصف الذين يؤيدون الحرب على الإرهاب لكنهم يناصرون بن لادن ويناهضون شن الحروب على الإسلام ويثقل عليهم إبادة المسلمين. ويعتبر أن المملكة العربية السعودية شعباً وحكومة تنتمى إلى شبكة "بن لكن".

وفى مقال آخر كتب الفندى تحت عنوان "كيف أصبحت مجندا لأمريكا؛..." بجريدة واشنطن بوست، الأحد، ٢٠ يناير ٢٠٠٢؛ أسرد بإسهاب عن كيفية تحوله من الجاهلية الإسلامية إلى التشيع للولايات المتحدة الأمريكية، رغم أنه كان عرضة للضلال والتأثر بأهل الجاهلية فى البيت الذى نشأ فيه ثم فى الفترة التى قضاها فى المملكة؛ لكن حظه الطيب أنقذه من الضلالة فصار جندياً لأمريكا بدلاً من أن يكون واحداً من "جنود الله".. وعزا وجود "جنود الله" من أمثال الإرهابيين المصريين الذين اعتنقوا السلفية الإسلامية ففجروا ودمروا واغتالوا، بأن كل هؤلاء لم يتأثروا بالحضارة الأمريكية إذ لم تتح لهم ظروفهم الاجتماعية فرصة الولوغ فى منهل الحياة الكريمة التى يوفرها المجتمع الأمريكى الذى ينعم بالمحبة والتسامح، حيث نعم هو بكل ذلك فى كنف الولايات المتحدة الأمريكية؛ لهذا فلا عجب أن تمتلئ قلوبهم بالغل والحقد والكراهية ويتخذوا من الإرهاب صنعة. وضرب مثلاً بفتاة سعودية درست علم النفس فى الولايات المتحدة الأمريكية وتشربت بروح الحدب على الآخرين وبالقيم الأمريكية التى لم ترها من قبل فى مجتمعها الإسلامى فأنشأت دار العون لمساعدة المعوقين فى جدة. وبمعنى آخر أن "جنود الله" هم الذين أدى بهم سوء الحظ ونحس طالعهم إلى البقاء فى بلادهم بين أهليهم؛ وأن كل مصرى أو عربى أو مسلم لم يقتف أثر الفندى فمآله اللحاق بجنود الله.

وفى عيد الفطر المبارك أطل الفندى على رواد قناة سى إن إن فى ومضة إعلامية سريعة ليبشر المسلمين بأن مصيرهم كالح مظلم ولن يعيد الله عليهم العام بخير إن لم يشمروا عن ساعد الجد وينخرطوا فى حملة النكال بالمسلمين المتشددين والمتزمتين وبكل من تشدد لهم أو تعصب.

بوق بنى صهيون

ومن المسلمين الصهاينة نواف عبيد السعودى المسلم الذى نما وترعرع فى أحضان رتشارد بيرل الصهيونى الخطير الذى يدعو إلى إبادة المسلمين والعرب، والذى يتزعم حملة الدعوة إلى ضرب المملكة السعودية فى الحرب المعلنة ضد الإرهاب وإلى احتلال الإقليم الشرقى للاستيلاء على منابع النفط ..

حصل عبيد على البكالوريوس من جامعة جورج تاون بواشنطن دى سى، والماجستير من كلية جون إف كندى للحكومة بجامعة هارفارد، حيث قام ببحث عن "كيفية إجادة تحليل معلومات استخبارات الولايات المتحدة الأمريكية عن عملية اتخاذ القرارات فى السعودية العربية" وقدمه لرسالة الماجستير عام ١٩٩٨ فأثارت الكثير من الجدل حول ما تضمنته.

فى مقال نشر عن الرسالة تحت عنوان "السعوديون يدعمون طالبان سراً": نشر روبرت فيسك: مراسل الشرق الأوسط لجريدة إندبندنت، عام ١٩٩٨: "ربما لم تعر وزارة الخارجية الأمريكية أى التفات لما كتبه طالب عادى فى رسالة ماجستير رغم أن المسئولين طلبوا نسخة من الرسالة ووضعوها على الرف؛ إلا أن ما كتبه الشاب السعودى الصغير عن عدم مقدرة المملكة على اتخاذ أى قرار، وعن الانشقاق الدينى فى المملكة وعن دعم السعوديين السرى لأكبر قوات مليشيا تتصف بالقسوة فى أفغانستان قد أغضب الحكومة السعودية .. وفقاً لعبيد فقد قام بجولة فى العام الماضى فى قرى سعودية نائية يعيش فيها المحافظون وتحدث مع مسئولين فى الحكومة، وضباط فى الجيش وأعضاء فى الحرس الوطنى .. وبناء على ذلك قال: إن الولايات المتحدة الأمريكية فى تحليلها للمعلومات الاستخبارية عن المملكة إما أنها تتغاضى أو لا تدرك أو لا تعطى وزناً لطبيعة وقوة وأهداف الحركة الوهابية فى السعودية ومدى علاقة قادة الحكومة اللا دينيين بتلك الحركة .. وعزا ما حدث من تفجيرات فى الثكنات الأمريكية فى "الخُبر" إلى هذا القصور فى إدراك المخابرات الأمريكية لما تحصل عليه من معلومات.

وقد لقيت رسالة نواف عبيد اهتماماً كبيراً من العديد من المؤسسات الصهيونية

خاصة مؤسسة واشنطن لسياسة الشرق الأدنى التى يديرها رتشارد بيرل الذى يحتضن عبيد .. ولقد نشر عبيد مقتطفات من الرسالة بمعونة المؤسسة ومؤسسات أخرى صهيونية؛ ومن مقالاته: سلطة القادة الإسلاميين فى العربية السعودية، ندوة الشرق الأوسط .

يدرس عبيد حالياً للدكتوراه فى معهد إم آى تى؛ إلى جانب أنه يعد دراسة عن سياسة النفط السعودية كعضو زائر فى مؤسسة واشنطن لسياسة الشرق الأدنى؛ من أكبر المؤسسات الصهيونية التى تروج لإبادة الفلسطينيين وإجلائهم عن أراضيهم؛ وهى تجمع شخصيات مخابراتية من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وضباط من القوات التركية. ومن أعضائها دانيال بيبز الذى يقود أكبر حملة على العرب والإسلام .

ونواف عبيد لا يغفل عند تقديم نفسه فى ندوة أو مقابلة يبثها التلفزيون الأمريكى عن ذكر أنه سعودى عمل مستشاراً لأمير مرموق سياسياً من العائلة المالكة (دون ذكر اسمه) وأنه عمل فى وزارة الإعلام السعودية وأنه يستطلع نبض الشارع السعودى ساعة بساعة ويزور السعوديين الخاصة منهم والعامة فى بيوتهم فى المنطقة الشرقية ويتحدث معهم باستمرار ليستطلع آراءهم؛ هذا رغم أنه صغير السن وأنه تلقى كل تعليمه الجامعى فى الولايات المتحدة الأمريكية.

وكثيراً ما يردد أن الأمريكيين من ساسة وخبراء فى شئون الشرق الأوسط ليسوا على دراية بداخليات السعوديين وطريقة تفكيرهم ولا بما يدور فى بال المسلمين وأنه آخذ على عاتقه تصحيح مفاهيمهم عن العقلية السعودية وأسلوب تفكيرهم؛ كما حدث مؤخراً فى ندوة قدمتها محطة سى-سبان على الهواء فى ٤ أبريل ٢٠٠٢ ، ورغم أنه كان أقل المشاركين فى الندوة خبرة وأصغرهم سناً وأدناهم مركزاً فقد كان له مركز الصدارة كخبير سعودى مسلم يشير إليه مقدمو الندوة والمشاركون فيها على أنه أدرى بما يدور فى العالم الإسلامى منهم؛ ويحيلون إليه الإجابة عن كل سؤال يستفسر عن خصوصيات تفكير العرب والمسلمين ..

هذا رغم أن أحد المشاركين فى الندوة كان سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية فى إسرائيل ومصر وسوريا ويعمل مديراً لمؤسسة الشرق الأوسط .. ومن الغريب أن عضوى الندوة الآخرين كانا أقل منه تحاملاً على المملكة بل إن السفير السابق كان مجاملاً للمملكة نظراً لأن مؤسسته تستحضر العرب من بلادهم للتدريب فى الولايات المتحدة الأمريكية فى المجال السياسى والإعلامى .

د. عبد الفتاح الحسينى

الولايات المتحدة الأمريكية

آخر معارك أردوغان: المعركة ضد الوصاية السرية على الدولة

شهدت تركيا، في الساعات الأولى من فجر يوم ١٧ ديسمبر بداية واحدة من قضايا الفساد الكبرى في تاريخ الجمهورية التركية.

بقلم د. بشير نافع

في غارات متزامنة، تحركت وحدات من البوليس التركي، بأوامر من أبرز وكلاء نيابة مدينة إسطنبول، زكريا أوز، للقبض على أكثر من خمسين شخصاً، بينهم رئيس بلدية فاتح، التابعة لإسطنبول الكبرى، رئيس واحدة من أكبر شركات الإنشاءات في البلاد، أبناء وزراء الداخلية والاقتصاد وشئون البيئة، ورجل أعمال تركي من أصل أذربيجاني، ورئيس بنك خلق، المملوك للدولة وأحد أكبر بنوك تركيا.

كان مشهداً مهيباً بلا شك أن يقبض على كل هؤلاء معاً، ولكن الأكثر وقعاً كان الصلة المستبطنة بين القضية وحكومة العدالة والتنمية التي لم تبن سجلها على إنجازها الاقتصادي الهائل في السنوات العشر الماضية وحسب، بل وعلى مكافحة الفساد أيضاً.

ولم يكن غريباً بالتالي أن تبدأ وسائل الإعلام المعارضة لرئيس الحكومة وحزبه في التساؤل حول ما إن كانت هذه نهاية أردوغان.

حقيقة الأمر، أن هذه أكبر بكثير من مجرد قضية فساد.

ليست القضية، بداية، قضية واحدة، بل ثلاث قضايا منفصلة: الأولى، وتتعلق بمعاملات مالية بين رجل الأعمال الأذربيجاني التركي وإيران، بمساعدة من بنك خلق؛ والثانية، وتتعلق بتسهيلات مدعاة قدمها رئيس بلدية فاتح للمساعدة على بناء فندق فوق نفق مرمراي الذي

يربط بين جانبي المدينة الآسيوي والأوروبي تحت مضيق البوسفور، ويفترض أنه يهدد أمن النفق؛ أما الثالثة، فتتصل بعدد من المناقصات التي طرحتها الدولة، ويدعى أن كبار رجال الدولة والحكم تسلموا رشاوى بهدف تسهيل حصول شركات عليها.

ضم القضايا الثلاث في حدث واحد، وما تطلبته هذه القضايا من استدعاء أكثر من خمسين شخصاً، بصورة درامية، للتحقيق، قصد به الصورة أكثر من الفعل، والأثر السياسي أكثر من الضرورات القضائية. خلال اليومين التاليين، استمرت إجراءات القبض والاستدعاء للتحقيق، ليصل عدد المشتبه بهم ٦٦ شخصاً.

ولكن هناك ما هو أكثر مدعاة للشك؛ إذ سرعان ما اتضح أن وكيل النيابة المسئول أمر رجال الشرطة بالتصنت على المشتبه بهم، وفي حالات على زوجاتهم أيضاً، طوال أكثر من عشرة شهور، بدون أن يقوم رجال الشرطة الذين نفذوا عملية التصنت بإبلاغ رؤسائهم المباشرين.

وسرعان ما احتلت القضية الصفحات الأولى في وسائل الإعلام المعارضة التي تطوعت جميعها لنشر كل أصناف التسريبات من ملفات القضية، والإيحاء بأن الاتهامات تطال أربعة وزراء من حكومة أردوغان.. زعيم حزب الشعب الجمهوري المعارض، وفي استباق حتى لمؤشرات التحقيق الأولية، طالب باستقالة الحكومة.

بدلاً من الارتباك والذعر، أبدى رئيس الحكومة، الطيب رجب أردوغان، قدراً كبيراً من الشجاعة والتماسك. في أول رد فعل لحكومة أردوغان، تحدث نائب رئيس الوزراء بولنت أرينتش بوضوح حول دعم الحكومة لمؤسسة القضاء، وسياسة مكافحة الفساد بكل صوره.. وألمح أرينتش إلى أمله، في حال استدعاء أي من الوزراء للتحقيق، أن يقوم الوزير المستدعى بالاستقالة من الحكومة والدفاع عن نفسه باستقلال عن منصبه الحكومي.

ولكن أرينتش لم يخف دهشته من الطريقة التي تم فيها جمع القضايا معاً، ومن حجم عملية التنصت، ومن محاولة البعض إدانة جميع المشتبه، وغير المشتبه، فيهم، قبل أن تتضح نتائج التحقيق وتصل المحاكمة إلى نهايتها.

في اليوم التالي، ١٨ ديسمبر، أدلى أردوغان شخصياً بأول تعليق له حول القضية، أثناء مؤتمر صحافي عقده بصحبة رئيس الوزراء الهنغاري الزائر.

قال أردوغان بلغة واضحة إن مكافحة الفساد كانت على الدوام ركناً رئيسياً من سياسات حكومته، وأن الحكومة لم يكن لها أن تحقق للبلاد مثل هذه الإنجازات لولا وقوفها ضد ميراث كبير وواسع من الفساد الذي ورثته من حكومات سابقة، وإنه، بالرغم من ذلك، يرى أيدي خارجية ووكلاء داخليين في القضية، وأن حكومته عازمة على وضع نهاية لنفوذ الجماعات

السرية التي تتستر بعباءة الدولة .

لم يشر أردوغان إلى جماعة فتح الله غولن بالاسم، ولا فعل أي من مسئولي حزبه وحكومته، ولكن أحداً لم يساوره الشك أن رئيس الوزراء كان يقصد الجماعة إياها .

لشهور طوال قبل انفجار قضية الفساد، ازدحمت الصحف ووسائل الإعلام التركية الأخرى بتعليقات وتحقيقات حول التوتر المتصاعد بين جماعة غولن وحكومة العدالة والتنمية .

والأهم، أن وكيل النيابة وأغلب رجال الشرطة الرئيسيين الذين نفذوا أوامره بسرية بالغة، يعرفون بقربهم من، أو تعاطفهم مع، الجماعة، ذات النفوذ الكبير في أوساط النيابة والقضاء والشرطة، سيما في إسطنبول الكبرى .

تعود الجماعة في أصولها إلى تيار النورسية الديني الذي ولد من مقاومة رجل الدين ذي التوجهات النقشبندية، سعيد النورسي (١٨٩٦ ـ ١٩٦٠)، للسياسات المعادية للإسلام، التي تبنتها الدولة الجمهورية في عقودها الأولى .

خلال سنوات من وفاة النورسي، تفرق أتباعه إلى عدد من الجماعات والجمعيات والمؤسسات الثقافية. جماعة محمد فتح الله غولن (ولد ١٩٤١)، إمام المسجد السابق، هي إحداها؛ ولكن غولن، باتساع أنسطة الجماعة ونفوذها، أصبح أكثر حرصاً على الابتعاد عن أصوله النورسية منه إلى توكيد هذه الأصول .

بدأ غولن نشاطه بعد انقلاب ١٩٨٠، الذي استهدف بصورة أساسية قوى الإسلام السياسي واليسار .. ولأن غولن وأتباعه ادعوا دائماً الابتعاد عن العمل السياسي وحصر أنشطتهم في المجال الديني والخيري، تركت لهم حرية نسبية للعمل .

في التسعينيات، أخذت الجماعة تثير قلق السلطات ودوائر الدولة المرتبطة بالمؤسسة العسكرية، سيما بعد اكتشاف شريط للقاء جمع غولن ببعض من اتباعه المقربين، صرح فيه بأن هدفه تغيير الحكم في تركيا تدريجياً من العلمانية للإسلام.

في ١٩٩٩، وظناً بأن الدولة توشك توجيه اتهامات ما له، غادر غولن البلاد إلى الولايات المتحدة، التي لم يزل يقيم فيها إلى اليوم .

لم يكن ثمة ود بين غولن وحزب الرفاه، الذي كان يقوده نجم الدين إربكان، واعتبر الحاضنة الأولى لمجموعة الشبان التي أسست حزب العدالة والتنمية في ٢٠٠١

ولكن ثمة رواية بين الأساطير المؤسسة لصعود العدالة والتنمية تقول بأن اتفاقاً عقد بين الحزب والجماعة، قبل انتخابات ٢٠٠٢، على أن تؤيد الجماعة وأنصارها الحزب في الانتخابات، مقابل أن يفسح لها مجال العمل والنشاط إن وصل العدالة والتنمية للحكم .

المهم، أن الجماعة أظهرت طوال سنوات

تأييدها للعدالة والتنمية، وأفادت بالفعل من مناخ الحريات وتوقف الدولة عن ملاحقة الإسلاميين، واتسع بالتالي نشاطها التعليمي والخيري، بل وفي مجالات الأعمال، داخل تركيا وخارجها، بصورة ملموسة.

ولكن غولن لم يعد لبلاده؛ وأخذت تقارير متعددة خلال السنوات القليلة الماضية تشير إلى علاقة حسنة تجمع الجماعة بالدولة العبرية وبدوائر المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، حيث تمارس الجماعة أيضاً نشاطاً واسعاً.

في مايو ٢٠١٠، بعد حادثة السفينة التركية مرمرة، التي هاجمها الإسرائيليون وهي في طريقها لقطاع غزة، أدانت الجماعة سياسة حكومة العدالة والتنمية، وبدا أنها تؤيد الإجراء الإسرائيلي الدموي..

في فبراير ٢٠١٢، أرسل أحد وكلاء نيابة إسطنبول، الذي قيل يومها أيضاً بأنه عضو في الجماعة، استدعاء لمدير الاستخبارات التركية، د. حقان فيدان، المعروف بقربه من رئيس الحكومة، للشهادة في قضية تتعلق بلقاء سري عقده في النرويج من وفد حزب العمال الكردستاني..

صنف حزب العمال في تركيا باعتباره مجموعة إرهابية، ولكن اللقاء عقد أصلاً بأمر من رئيس الحكومة وتعلق ببداية عملية السلام وحل المشكلة الكردية؛ وقد أشيع يومها أن الإسرائيليين، الذين تجسسوا على اللقاء، هم من سرب الشريط لجماعة غولن، بهدف الإضرار بفيدان ورئيس حكومته، وأن استدعاء فيدان للشهادة كان سينتهي بصدور أمر باعتقاله.

انفجرت الأزمة وأردوغان تحت عملية جراحية، وبمجرد خروجه من المستشفى تحرك لتغيير القانون الذي ينظم عمل منظمة الاستخبارات، مما ساعد على قفل ملف القضية.

ولكن الحادثة حملت مؤشراً بالغ الدلالة.. فقد بدا، على الأقل من وجهة نظر بعض المعلقين الأتراك، أن الافتراق بين غولن وحكومة العدالة والتنمية في اتساع، وأن الجماعة، ظناً بأنها أصبحت قوة كبيرة في البلاد، تريد فرض نوع من الوصاية على رئيس الحكومة القوي.

قبل أسابيع قليلة، اندلعت أزمة أخرى في العلاقة بين الطرفين، عندما أعلنت الحكومة عن نيتها معالجة وضع مدارس الإعداد لامتحان دخول الجامعات، والتي تعمل في عطلة نهاية الأسبوع ولا تتمتع بصفة المدارس الخاصة.

تتحكم جماعة غولن فى قطاع واسع من هذه المدارس، وبالإضافة إلى إيراداتها المالية الكبيرة، تعتبر المدارس ساحة تجنيد مبكرة للجماعة. عارض غولن سياسة الحكومة تجاه المدارس، وتعهدت وسائل الإعلام التابعة له حملة واسعة وعالية

النبرة ضد أردوغان وحكومته .

كما أعلنت دوائر مقربة من غولن أن الجماعة لن تعطي صوتها للعدالة والتنمية منذ اليوم في أية انتخابات قادمة .. ولم تكد عاصفة مدارس الإعداد تهمد قليلاً حتى انفجرت قضية الفساد الثلاثية .

بيد أن ثمة بعداً آخر للقضية؛ فمنذ شهور وواشنطن تشهد حملة متصاعدة من قبل منظمة الضغط وثيقة الصلة بالليكود الإسرائيلي، الإيباك، وعدد من رجال الكونغرس المقربين منها، تتهم تركيا بتوفير تسهيلات للتجارة الإيرانية .. وقد برز بنك خلق باعتباره من المؤسسات التركية المستهدفة في هذه الحملة .

وبعد أيام من اندلاع قضية الفساد، نشرت صحف تركية تقارير حول لقاء جمع السفير الأمريكي في أنقرة بسفراء دول الاتحاد الأوروبي، حيث قال السفير لضيوفه إن عليهم ترقب انهيار إمبراطورية كبرى في تركيا .. سارع السفير إلى نفي مثل هذه التقارير، ولكن تصريحات لاحقة لإردوغان حول تهديد بعض السفراء لأمن البلاد تستبطن اقتناعه بوجود شيء ما من التدخل الخارجي .

خلال الأسبوع التالي لانفجار القضية قامت الحكومة بنقل العشرات من مسئولي دوائر البوليس الذين تدور حولهم شبهات الانتماء لجماعة غولن من مواقعهم؛ وليس من الواضح ما إن كانت حملة التطهير ستطال وكلاء نيابة وقضاة في المستقبل.

إن كان هناك أصل لقضايا الفساد الثلاث، وبالرغم من أن معظم المتهمين تم الإفراج عنهم، فلابد للعدالة أن تأخذ مجراها .

ليس ثمة دولة تخلو من فساد، وليس ثمة خطر يمكن أن يهدد المجتمع والدولة أكبر من تسييس قضايا الفساد .

ولكن السؤال، بعد أن اتضح حجم تغلغل جماعة غولن وتشكيلها ما يشبه الدولة داخل الدولة، ما إن كان أردوغان، الذي انتصر في سلسلة من المعارك ضد السيطرة العسكرية وهيمنة النخبة الكمالية، سيخوض معركة تطهير جهاز الدولة من وصاية الجماعات السرية إلى نهاياتها .

رجال الله

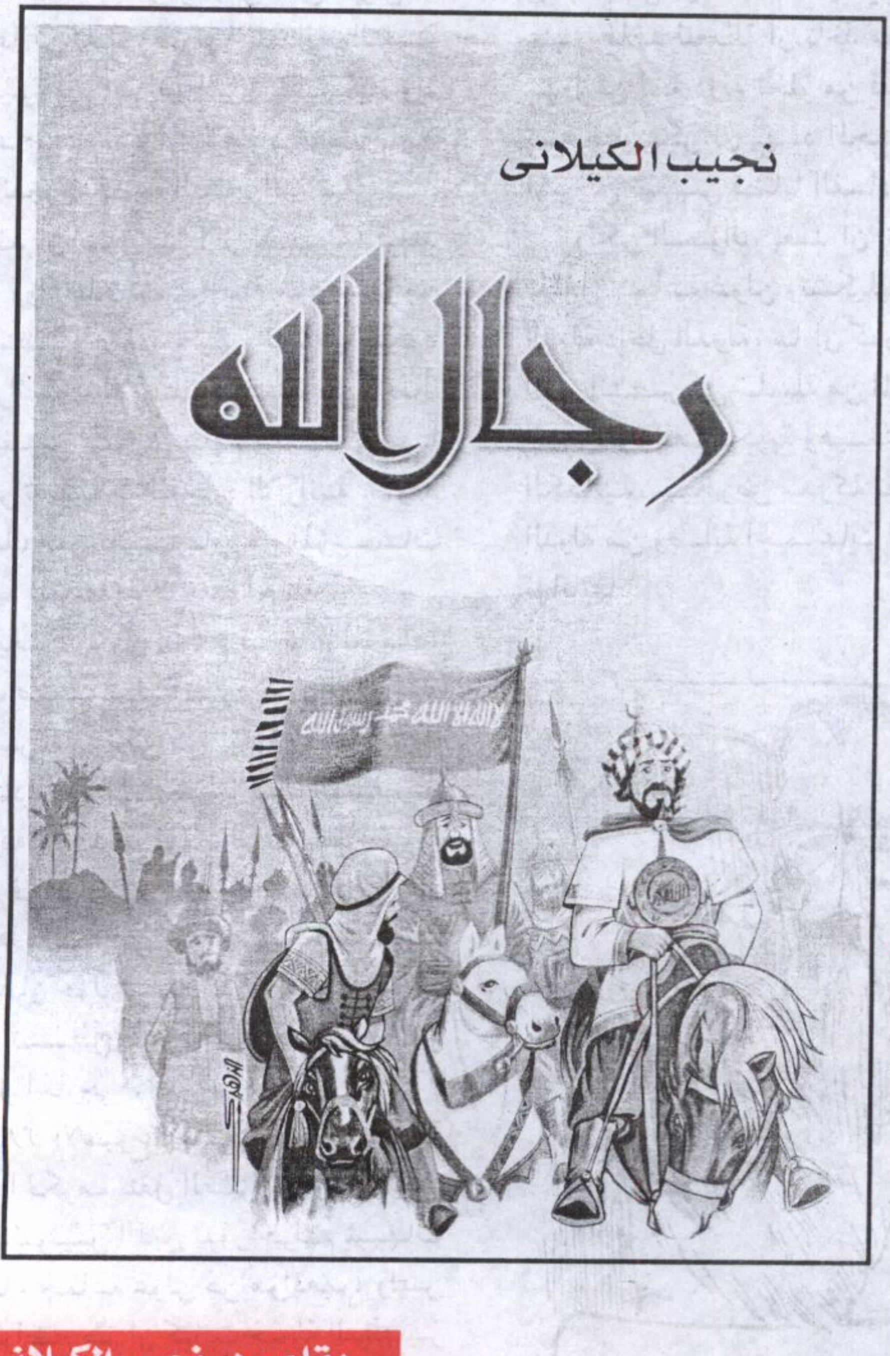

بقلم : د. نجيب الكيلانى

أبو معزى

بقلم : د. نجيب الكيلانى

الزنزانة صامتة كالقبر، وظلامها دامس مكفهر كوجه الشيطان، وبين آونة وأخرى، يتناهى إلى السمع، صوت الأحذية الثقيلة وهى تدق الأرض فى غلظة وتحد مثير، وشئ آخر كان بقطع السكون .. إنه التأوه المكتوم فى الزنزانات المجاورة .

وفى ركن من أركان الزنزانة الصامتة المظلمة، تربع شيخ مهيب الطلعة ذو لحية بيضاء تكاد تبدو ما يكتنف الوجه السمح من ظلمة متكاثفة، ولم يكن لسان الشيخ السجين يكف عن التسبيح والدعاء، وقد يرفع يديه إلى السماء، ثم يبتهل فى ضراعة عميقة، ويلح فى الدعاء، وهو واثق من أن الله لن يرد له رجاء، أو يحرمه أملا، فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، وباب الله مفتوح دائما .. ولن يستطيع الفرنسيون أو غيرهم أن يغلقوه فى وجهه مثلما يغلقون باب الزنزانة، ولو حشدوا لذلك كل ما أوتوا من قوة وبطش..

وتطلع الشيخ "أبو معزى" وهذا هو اسمه إلى كوة صغيرة أعلى الحائط بالقرب من السقف، فلمح تباشير الفجر تنساب عبر السماء الصافية المرصعة بالنجوم .. وأحس - أو هكذا خُيل إليه ذلك أن نسمة رطبة حنون تلامس وجهه .. فتبعث الحيوية فى جسده .. وتثير الحنين والأشجان فى روحه، وشعر بشوق جارف إلى الحرية .. إلى الدنيا الفسيحة الرحبة فى المراعى الخضراء .. أو الكهوف المبعثرة فى جبل "أوراس" حيث يختفى المكافحون الجزائريون استعداداً للوثوب .. لكن أنى له ذلك وتلك الجدران الصلدة .. والقضبان القاسية، والجنود العتاة .. كل ذلك يقف له بالمرصاد .. ويحرمه نسمة الحرية ؟..

وطفرت من عينى "أبو معزى" دمعة، فهم بتجفيفها وهو يغمغم فى انفعال واضح : "أصبحنا .. وأصبح الملك لله .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم" .. ثم اتجه إلى دلو الماء القابع خلف باب الزنزانة .. فلم يجد به قطرة واحدة .. فتذكر أن السجان قد أمر أن يحرمه من الماء تلك الليلة كوسيلة من وسائل الضغط والتعذيب الكثيرة، لعل الشيخ ينزل على

رأيهم .. ويدلى لهم بالاعترافات التى يطلبونها منه .. وعاد الشيخ أدراجه إلى مكانه الذى يتربع فيه، ثم انحنى على أرض الزنزانة .. وهو يبسط كفيه .. ويضرب بهما التراب قائلا بينه وبين نفسه : فإن لم تجدوا ماء .. فتيمموا .

***

وجلس "أبو معزى" بعد الصلاة ينتظر ..

الحياة فى السجن تمضى بطريقةرتيبة مملة، فبعد ساعة سوف يأتون، ويبدءون فى التحقيق معه كما حدث فى الأيام السابقة، وسوف يطبق الشيخ فمه عن الإجابة على أى سؤال مهما فعلوا، فليقتلعوا بعض الشعرات من لحيته، وليلكزوه بمؤخرة بنادقهم الصلبة، وأحذيتهم التى لا ترحم .. وكذلك ضرب السياط لن يجعله ينطق بكلمة واحدة .. حقا إن السوط يؤلمه ويحنقه فى نفس الوقت .. لكنه يثير عناده .. ويزيد من إصراره على عدم الكلام .. "لكن إلى متى يطول هذا العذاب الجسدى والنفسى ؟.. لكل شئ نهاية يا أبا معزى حتى العمر له ساعة ينتهى فيها، ومن ثم يجب أن أظل رجلاً حتى النهاية، وكيف ألقى الله هزيلاً ضعيف الإيمان ؟.. وماذا يقول عنى جنودى وأتباعى الذين اتخذونى قدوة ومثالاً عندما يرون الجبل الشامخ يتحول إلى مستنقع ضحل .. عفن ؟.. لا .. لا .. إن أبا معزى سيظل رجلاً حتى آخر لحظة من عمرة .." .

وقبل أن يفيق الشيخ من مناجاته لنفسه .. دفع السجان باب الزنزانة دفعة قوية .. فتدفق النور إلى الداخل، وعلى التو أغمض الشيخ عينيه حتى لا يعرضهما لدفقة الضوء القوية التى لم يعهدها .. ولم يمهله السجان طويلاً، فقد صاح بصوته الأجش :

- "انهض من مكانك .. ماذا تنتظر ؟.. سنعرف اليوم كيف نفك عقدة لسانك، وإلا فسوف نقطعه ونستريح .." .

وفى تثاقل وعدم اكتراث تحرك الشيخ من مكانه دون أن يكلف نفسه مؤنة النظر إلى وجه السجان وسحنته الغاضبة .. وعندما بلغ باب الزنزانة، نبعت فى ذهنه خاطرة ارتاحت لها نفسه فتساءل بصوت غير مسموع : "من هذا السجان ؟.. إنه جزائرى .. مواطن مثلى .. وهو مجرد آلة تعمل فى يد الطغاة، والآلة لا قلب لها ولا عقل، ولكن هل من الممكن أن تستعيد هذه الآلة الزائفة إنسانيتها إذا ما استيقظ قلبها وعادت إليها الحياة ؟.. وسرعان ما انبسطت أسارير الشيخ، ونظر إلى السجان فى رقة وحنان، وقال بصوت خفيض لا يحمل حفيظة ولا تحاملا :

- "نعمت صباحًا أيها الأخ .." .

لم تتغير سحنة السجان .. ولم تنفرج أسارير وجهه، لكنه وقف جامداً بضع لحظات .. ثم تلفت حوله فلم يجد أحداً، وأقبل على الشيخ، وجذبه من كتفه فى

غلظة مفتعلة، وهمس فى قلق :
- "سوف تُحاكم أمام المحكمة العسكرية اليوم .. كن شجاعا .. الجزائريون كلهم يتحدثون عن بطولتك، والمجاهدون أعادوا القسم على ألا يلقوا السلاح .." .

وسمع السجان وقع خطوات تقترب، فاستعاد مظهره الأول، ثم دفع بأبى معزى خارج الزنزانة فى عنف وهو يصيح :
- "تحرك .. لماذا تقف هكذا جامداً كالصنم .. أمامك دقيقتان كى تقضى حاجتك، وتشرب الماء وإن كنت لا تستحق شيئا من هذا كله .." .

وحار المحققون فى أمر ابى معزى ..

ماذا يفعلون كى ينطقوا هذا الرجل .. ويدفعوه إلى الكلام .. أى كلام ؟.. وفكروا فى أن يستحضروا أهله زوجته وبنيه ثم يوقعوا بهم أشنع ألوان التعذيب والتنكيل، لكنهم فوجئوا بحقيقة غريبة، وهى أن الجزائريين أنفسهم لا يعرفون على وجه الدقة لأبى معزى أهلا أو بيتًا، اللهم إلا كفاحه الرائع وإيمانه الذى لا يتزعزع أو يتراجع .

لقد كان هناك "أبو معزى" آخر .. كان الجميع يعرفون أنه مراكشى الأصل، ثم قضى نحبه .. ثم فوجئ الجزائريون بعد حين بظهور من يقول إنه أبو معزى .. وإنه سوف يواصل الكفاح ضد الفرنسيين حتى تتحرر الجزائر .. ويتحرر المغرب العربى كله وتعلو كلمة الله ..

وهكذا بدأ أبو معزى غامضًا فى أصله ونسبه، واضحًا كل الوضوح فى نضاله وتضحياته، وحشده للجنود، وإشعاله للمعارك الدامية الرهيبة التى أقلقت المستعمرين .. وأقضت مضاجعهم، فكان لنبأ القبض على الشيخ صدى بعيد المدى فى نفوس الجميع، وأحاط اسمه بمزيد من القداسة والتعظيم، وبث فى روح أتباعه ثورة مضاعفة .. وملأها إيمانًا عارمًا، فتوالت ضرباتهم المسددة، وتتابعت غزواتهم الموفقة .

***

وأمام المحكمة العسكرية، وقف أبو معزى فى هدوء عجيب، لقد رفض أن ينطق أمام المحققين فى الجلسات المبدئية .. كانوا فئة من الضباط الأغرار يريدون أن ينتزعوا كل شئ بالتهديد والوعيد، ولا يتفاهمون إلا بالسياط والعنف، ويظنون أنهم قادرون على كل شئ .. ومن ثم أدار الشيخ ظهره لهم .. وأطبق فمه ولم يعبأ بما يفعلون .. كان يتألم لكنه كتم ألمه .. وكان يشعر أنه على وشك أن تنهار قواه، لكن قوة علوية كبرى كانت تسنده وتصلبه .. أما هذه المرة، فقد نظر إلى أعضاء المحكمة العسكرية العليا .. ثم قرر أن يتكلم .

سأله الرئيس قائلاً :
- من أنت ؟..
- أنا أبو معرى ..
- يزعم البعض أنك لست هو ..

فهز الشيخ رأسه فى سخرية قائلاً :
- وماذا يهم ذلك ؟..
فصمت رئيس المحكمة برهة ثم استأنف حديثه :
- لماذا قاتلت فرنسا ؟..
فرد الشيخ فى بساطة مفحمة، ومنطق سهل واضح :
- لكونها دولة باغية .. طاغية .. معتدية علينا .
ألم تر أن "بعض العرب" قد انضموا إلينا ؟..
- ربما .. لكنهم قليلو العدد .. وهؤلاء العرب قسمان : الأكثرية منهم أبرياء يخافون على حياتهم .. والأقلية سفلة خونة .. لا يبحثون إلا عن إرضاء الحاكم مهما كان .. وعن توشيح صدورهم بشريط أحمر !.. وإن أفلتوا من عقابنا .. فلن يفلتوا من يدى الله ..
فاحتقن وجه الرئيس .. وبان فى عينيه الغضب .. وقال محتداً :
- ماذا تنتظر منا ؟..
- لا يهمنى ما أنتظره منكم .
- وإذا أطلقنا سراحكم .. ماذا تفعل ؟..
- أعود للجهاد فى سبيل الله .
- وإذا قتلناك ؟..
- سأتقدم لله ناطقًا بالشهادتين ..
- وإذا سجناك ؟..
- سأقضى أوقاتى عابداً لله .. متضرعًا إليه أن ينصر العدل على الظلم .

فسارع الرئيس قائلاً : لماذا تكرهنا هكذا ؟..
منطق عجيب حقًا .. لأنكم طغاة وظلمة .. أو تنتظرون أن أفرش لكم الطريق بالورود ، وأقول لكم أيها اللصوص هذا بيتى اسرقوه .. وها هى رقبتى اقطعوها .. وها هى قريتى عيشوا فيها فساداً ؟..
- كذبت أيها الشيخ .. دعاة نور .. ومعرفة وعدل .
- ها .. ها .. ها .. أيها الأنبياء .. يا قاتلى الأطفال والأبرياء .. ويا مخربى الديار .. إننا لا نؤمن بكم .. إذ ليس للشياطين رسالة نور ومعرفة وعدل .
واستشاط الرئيس غضبًا ، وبعد أن رفُعت الجلسة .. عاد الشيخ إلى سجنه .. كانت ظلال الموت تبسط رواقها الأسود فوق رأسه، وكان الغد يحمل فى طياته الكثير بالنسبة له، ولمستقبله ومصيره .
ودلف الشيخ إلى زنزانته، فوجدها كما هى .. سوداء .. صامتة .. فأعادت لذهنه صورة القبر الذى يريد الفرنسيون أن يدفنوه فيه عنوة وقهراً .. وسرعان ما أضاءت فى ذهنه حقيقة لامعة وضاءة << حقيقة كبرى .. يدركها هو بالذات أكثر من غيره ألا وهى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ .. تلفظ بها الشيخ وعيناه مغرورقتان بالدموع ثم انصفق باب الزنزانة .. ولم يعد هناك منفذ يطل على العالم الخارجى إلا تلك الكوة الموجودة قرب

السقف .. وتلفت الشيخ إلى دلو الماء، فوجده جافًا فارغًا .. لم تمتد إليه يد بملء أو تنظيف .

ووجد كسرات من خبز جاف .. ملقاة بطريقة لا تخلو من الإهمال وعدم الاكتراث، فتناول لقيمات منها .. وحاول أن ينفض عنها التراب العالق بها، ولم يكد يضعها فى فمه حتى تناهى إلى سمعه صوت أحد المسجونين الأحرار .. وهو يذوق أقسى أنواع العذاب، ويصرخ بصوت جهير .. "يا رب .. يا رب"، فما كان من الشيخ إلا أن نحى اللقيمات الجافة عنه، ووضعها إلى جواره .. ثم رفع يديه إلى السماء فى ضراعة كلها حرارة وإيمان .. وبات جليًا أن الإعدام هو الحكم المنتظر ..

شئ رهيب حقا ..

كثيراً ما تعرض أبو معزى للموت، وهو يخوض المعارك الصاخبة، لم يكن آنذاك يفكر فى موت أو حياة .. كان فقط يريد النصر أو الاستشهاد .. أما الوضع اليوم فهو مختلف تمام الاختلاف .. إن أبا معزى يفكر بالرغم منه .. يفكر فى ماضيه، هل وفق فيه أم لا يوفق، ويفكر فى خطته فى الحياة .. هل أصاب أم أخطأ .. هل أرضى الله أم أسخطه .. ثم، هل تنتهى الحياة على هذه الصورة العجيبة ؟.. أيساق إلى الموت فى ساعة معينة ؛ ويوضع على المقصلة بأيد فرنسية .. أيد لعينة، ويسلم الروح دونما حركة أو ثورة أو صراع فى ميدان مكشوف ؟.. وابتسم الشيخ لهذه الخواطر المتلاحقة المتضاربة التى تزحف إلى رأسه، وبدا له أن طول السهر، وكثرة الإنهاك الفكرى، والإرهاق الجسمانى والنفسى، أوشكت أن تسلمه إلى ما لا طائل تحته من الأفكار .. ولذا غمغم فى ثقة :

- الموت هو الموت .. والمعركة واحدة .. والسجن وأرض المعركة كلاهما ميدان واحد .

***

وفى اليوم التالى افتتحت الجلسة، وثار الجدل من جديد، وأخيراً قال القاضى فى صبر نافذ :

- ألا تخبرنا عمن معك ؟..

- على أتم استعداد ..

فنظر إليه القاضى الفرنسى فى شك، وتفرس فيه، لعله يكشف ما وراء هذه العبارة، أمن المعقول أن يكون أبو معزى قد غير رأيه وآثر السلامة، وفكر فى أن يميط اللثام عن حركات الثوار ويفشى أسرارهم ؟

- تكلم إذن أيها الشيخ .

فابتسم الشيخ وقال :

- "معى كثيرون .. هناك على سفوح الجبال، فى المراعى والكهوف .. فى شوارع المدن، وفى حوارى القرى .. وتجدرنهم أيضا فى الخيام ببطن الصحارى والوديان والواحات .. إنهم كثيرون جدا يا سيدى القاضى .. وأظنك تعرفهم .. وهل تعرف وطنًا لا يثور أبناؤه إذا ما داسته أقدام

الغزاة ؟.. ذلك منطق الأزل .

وساد المحكمة صمت رهيب، لقد أصبح الموت لأبى معزى أمراً مؤكداً .

ثم قال الرئيس : "دعنا من هذه الخطب والعبارات الرنانة، يخيل إلى أنك تعزى نفسك بهذه الخزعبلات وأنت على عتبة الهاوية .. إنها علامة الخوف والاستمساك بالحياة .. لكنك تعبر عن ذلك تعبيراً عكسيًا، لأن فيك عناداً وعنجهية" .

قال أبو معزى :

- لن أرد على هذا التعليق .

- لك ذلك أيها الشيخ العنيد، لكن ألا تعرف أننا أقوى منكم ؟..

أجل ..

والنصر للأقوى أيها الشيخ .

نصر مؤقت .. غير نظيف .. ولنا عتاد أقوى من عتادكم .

ماذا تعنى ؟..

- الحق الذى ندافع .. الإيمان الذى يعمر قلوبنا .. التضحية التى لم نكف عنها .

فقال القاضى وقد ازداد حنقًا :

- دعنا من هذه الفسطة الفارغة .

***

وفى حجرة المداولة قال الرئيس لأعضاء المحكمة العسكرية العليا :

- من السهل أن نحكم عليه بالإعدام، ولن نعجز عن تصيد الأدلة واصطناعها، وقد نعدمه بلا دليل على الإطلاق .. كما فعلنا مع غيره .. لكن لدى وجهة نظر أخرى .

فرد عضو اليمين قائلا :

- ماذا تقصد ؟..

- إن هؤلاء المسلمين يقدسون الدم، ويجعلون من شهدائهم أنصاف آلهة، ولو قتلنا أبو معزى .. لجرى دمه بين الجزائريين صائحا مستنفرا، ولخسرنا الكثير، ولأضفنا إلى أثواب البطولة التى يرتديها ثوبًا آخر أعظم وأروع .. إن السجن - كما يقول الشرقيون أيها الأصدقاء - مقبرة الأحياء .. فلندفن أبا معزى حيًا .. لنتركه فى السجن وكفى ..

- كلا .. كلا .. إن الموت حل حاسم للخلافات السياسية، فبقاؤه حيًا معناه التهديد المتصل لنا، وتشجيع غيره على المضى فى نفس الطريق، طريق الثورة والتمرد .

كانت هذه المناقشات تحتدم بين الأعضاء الثلاثة، بعيدا، وأبو معزى جالس فى قفصه ولا يكف عن قراءة القرآن الكريم وأخيراً نال رأى الرئيس الأغلبية .. وصدر الحكم على أبى معزى بالسجن .

وفى طريقه إلى زنزانته، كانت تتراءى له من خلال دموعه صورة المناضلين .. وهم يزحفون على السفوح، وينفرون من الكهوف، ويجددون البيعة على النصر أو الموت .. وأناشيدهم الخالدة يتردد صداها قويًا ساحراً فوق جبل "أوراس"، الخضيب .. حيث الدم .. والنار .. والدموع .. وتاريخ يُصنع من جديد .

البرد فضحنا !!

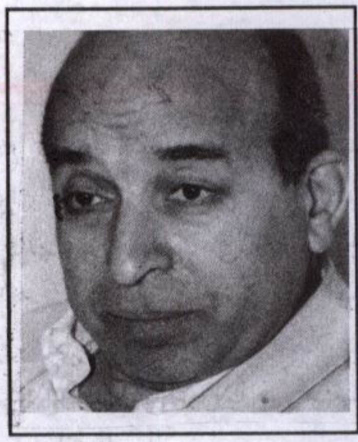

فهمى هويدى

فضحنا البرد وكشف عوراتنا.

عاصفته الثلجية قامت بتعرية وجه البؤس المسكوت عليه فى عالمنا العربى.

روعتنى صورة الطفل السورى الذى تجمد فى حمص .

وقلت إن تلك ليست فقط جريمة نظام وحشى حوله إلى لاجئ فى مخيم، لكنها أيضا جريمة الذين تحجرت قلوبهم وماتت ضمائرهم، ووقفوا متفرجين على مهرجان القتل اليومى الدائر على الأراضى السورية منذ ثلاث سنوات .

لم يكن طفل حمص وحده الذى تجمد ومات من البرد، لأن التقارير تحدثت عن مقتل طفلة فى حمص اسمها مريم، وقد لحق بها وليد فى حلب اسمه حسن طويل فى شهره السادس .

وتحدث نشطاء "حلب نيوز" عن أن ١٣ سجينا ماتوا فى سجن حلبى المركزى جراء البرد والجوع .

هذا المصير البائس، ينتظر نحو أربعة ملايين لاجئ سورى شردتهم الحرب الشرسة داخل وطنهم وفى محيطه، الأمر الذى ينذر بوقوع كارثة إنسانية كبرى .

ذلك أن هؤلاء اللاجئين يعيشون إما فى خرائب مهدمة أو فى مخيمات أقيمت على الحدود مع لبنان وتركيا والعراق والأردن .

وجميعهم يعيشون بلا غطاء أو ماء أو كهرباء أو غذاء .

هزمهم البرد وتحولت رياحه العاصفة إلى سياط تعذبهم، وصار الثلج بالنسبة لهم لعنة ونذير شؤم .

إذ فقد لونه الأبيض براءته فى لحظة نادرة وتحول إلى باب للجحيم .

لأن ذوبانه وتسرب مياهه عبر شقوق البيوت المهدمة وإلى داخل الخيام البلاستيكية بات يحمل إلى ساكنيها رسائل الترويع والإذلال وشبح الموت البطىء .

نقل عن بعضهم قولهم إنهم هربوا من قتلهم بالأسلحة الروسية، فطاردتهم العاصفة الثلجية "أليكسا" القادمة من روسيا، كأنما كتب عليهم أن يظلوا على

موعد مع الموت حيثما ذهبوا، بل إنهم إذا ما حاولوا الهرب من البؤس عبر البحر إلى أوروبا، فإنهم يحتجزون فى الدول المجاورة - كما هو الحاصل فى مصر - أو أنهم يحشرون فى مراكب الموت أملا فى أن توصلهم إلى شواطئ أوروبا فى مغامرة توصلهم أحيانا إلى الآخرة.

معاناة اللاجئين السوريين ليست جديدة وعذاباتهم مستمرة منذ تعرضوا للتشرد، وصارت رعاية أعدادهم فوق قدرة وطاقة احتمال الجيران.

ولم نسمع عن جهد عربى أو دولى جاد سعى إلى توفير تلك الرعاية، بل إن منهم من تعرض للإذلال والملاحقة فى بعض الدول العربية للأسف.

إلا أن العاصفة الثلجية الأخيرة ضاعفت من المعاناة وكشفت عن مدى التراخى والقصور فى إيوائهم وتوفير احتياجاتهم.

وهو ما يسلط الضوء على جانب محجوب ومسكوت عليه فى المشهد العربى، يتمثل فى غياب التضامن الإنسانى بين شعوبه، فى حين يتحدث حكامه عن التضامن فيما بينهم، الذى لا نرى له وجودا إلا فى المجال الأمنى وحده!

تحفل الصحف هذه الأيام بالتقارير التى ترصد معالم أزمة اللاجئين السوريين، لكن الكلام قليل عن محنة اللاجئين الفلسطينيين.

أغلب الظن لأن كثيرين اعتبروا أن عذابات الأخيرين باتت أمرا معتادا وقاعدة استقرت منذ الأربعينيات، أما عذابات السوريين فهى طارئة تمثل شذوذا واستثناء.

وذلك إذا صح فإنه يعبر عن خلل فى النظر وبؤس فى التقدير، لأن المأساة واحدة والحاصل فى سوريا ليس أكثر من فصل فى كتابها المسجل باسم الفلسطينيين، الذين أصبح مصطلح "النكبة" حكرا عليهم وعنوانا رئيسيا لهم.

ما فعله البرد القارس والثلج باللاجئين السوريين تكرر بحذافيره مع نظرائهم الفلسطينيين فى قطاع غزة بوجه أخص، مع فارق أساسى هو أن معاناة الأولين أسهم فيها تقاعس الجيران أو قلة حيلتهم فى حين أن معاناة الأخيرين أسهم فيها تعمد الأقربين وتعنتهم.

لقد توقفت محطة توليد الكهرباء فى القطاع بسبب النقص فى إمدادات الكهرباء.

وعجز البعض عن تشغيل المولدات التى كانت تخفف من معاناتهم، بسبب عدم وجود الوقود، الذى انقطع مدده بعد إغلاق الأنفاق مع سيناء.

ولاتزال غزة بغير كهرباء منذ خمسين يوما، وبغير وقود، يحرم أهلها من النور ومن التدفئة.

وحين هطلت الأمطار بغزارة فإن القطاع امتلأ بالبرك، التى أغرقت مياهها مجارى الصرف الصحى، وامتلأ حى

الشيخ رضوان، ومعسكر الشاطئ بتلك المياه المختلطة، ولحقت الأضرار بكل ساكنى بيوت الصفيح والمحتمين بالبنايات المدمرة جراء الاجتياحات الإسرائيلية .

كما تضرر أكثر من ٢٠٠ منزل فى حى الزيتون والشجاعية ومضارب البدو .

وقال شهود عيان إن سلطات الاحتلال الإسرائيلى فتحت عبارتى مياه على الحدود شرقى خان يونس، الأمر الذى أدى إلى إغراق عشرات المنازل التى نقل سكانها على وجه السرعة إلى مراكز للإيواء .

أما تأثيرات البرد وانقطاع التيار الكهربائى على المستشفيات والمدارس والمعاهد فحدث فيها ولا حرج .

إذا تعين علينا أن نتذكر ونحن نرتجف عذابات اللاجئين السوريين والفلسطينيين، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل معاناة آخرين فى داخل مصر لا نعرف كيف أمضوا لياليهم فى أجواء الصقيع الراهنة .

كما إننا لا نستطيع أن نغفل المهمشين والضعفاء الذين لا يجدون مأوى أو غطاء ونرى أشباحهم المرتجفة مكومة تحت الجسور وفى أركان المبانى المهجورة والخربة .

أسمع أصواتا نبيلة تدعو إلى فتح بيوت الله لإيواء عباد الله من اللاجئين السوريين .

كما تتردد فى مصر دعوات أخرى لجمع الألبسة للمشردين الذين لا مأوى لهم.

وذلك شىء طيب لا يحل الإشكال، لكنه أفضل من لا شىء ... إذ إن الأمر أعقد من أن تحله تلك المساعى .

وإلى أن تظهر الحلول التى فى مستوى الأزمة، فليس أمامنا سوى أن نجأر إلى الله بالدعاء :

يا لطيفا لم تزل ألطف بنا فيما نزل .

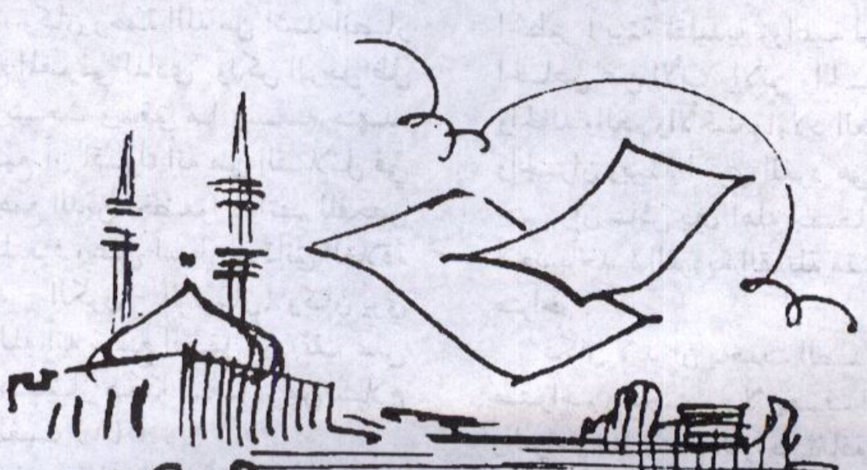

من روجيه جارودي إلى عبد الوهاب المسيري

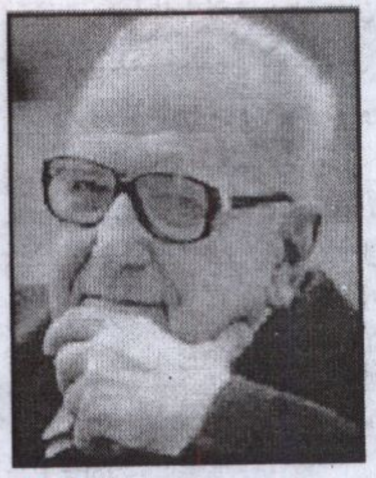

الحداثة البديل ..

بقلم : زغلول عبد الحليم

منزل العودة تعبير للدكتور "عبد الوهاب المسيري" ليس لنا حظ في تركيبة، وهو ككل تعبيراته في الأناقة والدقة والجمال، وكان رحمة الله من أشد أنصار "الأنموذج المعرفي المادي" ولكن الرجل ظل يعمل ويبحث ويدقق ما وسعه جهده واستطيع أن أقول أنه من القلائل في العالم أجمع الذين أخضعوا ذواتهم للفحص الدقيق للتعرف على أسرار ودقائق العلاقة بين (الله - الكون - الإنسان) وكان يري رحمه الله أنه بوسع العقل أن يقف على لحظة الامتياز هكذا مجرداً من سلاح الإيمان بالغيب (١) !..

رؤية غربية لرجل نشأ في بيئة دينية تقليدية معظم سنوات حياته حتى قبل بعثته إلي أوربا وأمريكا قبل سنوات من عام ١٩٦٧م وكانت رحلته من (دمنهور إلى أمريكا) شاقه وصعبة في الزمان والمكان والعودة .. إنه الصدام الثقافي الخطير ! بيئة تقليدية زراعية لها مفهومها الخاص عن الأب والأبن والجد والعمه والخاله والعم والأخت وأولاد العم والأقارب والجيران وبيئة أخرى الفرد هو بذاته فقط حتى وإن عاش بين أهله جميعاً ! لا علاقة لأحد بأحد ! الفردية القاتلة مقابل مجتمع متراحم !

فكان لابد أن يحدث الصدام مجتمع متراحم ومجتمع لا يعرف التراحم .. والتراحم هنا وعدم التراحم ثقافة قائمة دون شك يتعاطاها كل فرد في المجتمع هنا أو هناك وكان على الوافد أن بتعامل ويختار بين ثقافتين .. معضلة كبري .. مجتمع

تقوم حياته وفكرة وسلوكه على منظومة فكرية وأخلاقية مستمدة من الفكر اليوناني الروماني الوثني ومجتمع أخر تقوم حياته وفكره وسلوكه على منظومة قيم مستمده من عقيدته التى آمن بها واستقر عليها، وهذا لا يعني أن الغرب لم يعرف الدين، لا إنه عرف الدين الذي حرفه الأحبار وشكلوه على قيمهم وأصبحت المفاهيم الدينية خاضعة للأهواء والرغبات وليست هناك مفاهيم مقدسة حتى انتهي الأمر إلي سقوط مُدَوّ ذهبت فيه المرجعيات وانحلت فيه عري القيم وصارت مفاهيم السوق هي المفاهيم الحاكمة .

أزمة ثقافية عاشها (الدكتور عبد الوهاب المسيري) وعاشها كل مهموم بالثقافة سواء من كان هنا أو هناك. لقد استطاعت القوى الاستعمارية أن تسقط جميع المرجعيات حتى يمكنها أن تسيطر على العالم أجمع لنهب ثروات الأمم وبناء ما يسمي بالنظام العالمي الجديد بعد سقوط الأفكار الاشتراكية وأخيرا الأفكار الرأسمالية وظهور ما يسمي بالنظام العالمي الجديد !

أزمة ثقافية عاشها (الدكتور عبد الوهاب المسيري)! ولكنه ليس كغيره من الذين بهرهم الأنموذج المادي فسقطوا في مستنقعه !

إن الدكتور (عبد الوهاب المسيري) قابل الأنموذج المعرفي المادي ببعض (اليقينيات الموروثه) وليس الموروث الثقافي العام الذي يتبناه العرف والتقاليد الجامدة المخالفة الشرع في معظم الأحوال

ومن هذه اليقينيات التى تظهر بوضوح في كتبه (منزل العودة)! وتعود الفكرة إلي ما شاهدة الرجل من سلوكيات جدته وحتى تستعد للرحيل (تحضير الكفن والاستغناء عن معظم ما لديها من أشياء قليلة) فهي تعد (منزل العودة) وهو تعبير دقيق جميل يدل دلاله عميقة على الإيمان بالآخرة !

وأعده أنا شخصياً (مفتاح شخصية الدكتور عبد الوهاب المسيري تأسيسا على الآيات القرآنية الكريمه رقم (١- ٥) من سورة البقرة التي تبدأ بوصف المتقين بأنهم أولا (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) وبعد آيات معدودة، يوصف المتقين أيضا بأنهم (وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) ثم يقول رب العزه (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) والدكتور (عَبد الوهاب المسيري) بايمانه الشديد بالآخرة والذي يظهر من استخدام تعبير (منزل العودة) وكذا انتصاره للمبادئ الأخلاقية مثل :

- أنموذج التدوير بدلا من التبذير .
- أنموذج التراحم .

يتأكد للباحث أن قضية (منزل العودة) هي حجر الزاوية في فكر هذا الكاتب الكبير .. وهي الفكرة التي أنكرها أهل (مكة) في مبدأ الدعوه .. أنها فكرة من أهم أفكار عبد الوهاب المسيري ولا تعادلها فكرة أخرى وقد دفعته هذه الفكرة إلي فحص المعرفة ووضع المعيارية فكانت أول ضرباته للأنموذج المادي فسقط على أثرها! وسقط معه انبهار الدكتور عبد الوهاب المسيري بهذا الأنموذج وبدأ في كشف مستوراته فسقطت جميعها وأعلن

الرجل عن فشل الأنموذج المادي وقال بالحرف الواحد :

(هذه بعض ملامح من رحله الانتقال من الزمان والمكان والفكر ثم العودة إلي الجذور ؛ رحله طويلة شاقة نتيجة تأمل طويل في الذات الإنسانية وفي الكون واقتناع بفشل النموذج المادي في تفسير ظاهرة الإنسان وإدراك لأهمية البعد الديني في حياة الإنسان) .

فهل يدرك هذا الكلام الذين أتعبهم الرقاد !

وعلى الجانب الأخر نجد الفيلسوف الفرنسي (روجية جارودى) يقف ويعلن في نفس الوضوح فشل النموذج المادي بل يكاد كتابه (حفارو القبور) صيحة جبارة ولطمه قاسية على كل الوجوه المادية بأشكالها المختلفة .

وسبحان الله العلي العظيم لقد تحطم الأنموذج المادي وبمجرد الإعلان عن بزوغ النظام العالمي الجديد كان طبيعيا أن تعاد (صياغة النظام الاقتصادي العالمي) وكما مارست أمريكا الهيمنة السياسية العالمية من خلال تحالفها مع دول أوربا الغربية فكذلك سعت لممارسة الهيمنة العالمية الاقتصادية من خلال تحالف الدول السبع الصناعية الكبري للاتفاق على الخطوط الرئيسية للاستراتيجية المشتركة لإدارة الاقتصاد العالمي مركزيا وكان المؤتمر السابع عشر لهذه الدول والذي انعقد في لندن ١٥ - ١٧ يوليو ١٩٩١ قد اتفق فيه على الآتي :

أولا : ضرورة تسجيل مبيعات الأسلحة على مستوى العالم.

ثانيا : السيطرة المركزية على التكنولوجيا المتقدمة .

ثالثا : طرح فكرة مبادله ديون الدولة النامية بالبيئة .

رابعا : دفن النفايات بالدول النامية مقابل المزيد من القروض

خامسا : السير نحو تحرير التجارة العالمية .

مخطط رهيب لتدمير العالم كما يقول د. فوزي طايل وما يؤكده الفيلسوف الفرنسي (روجية جارودي) الذي يقول : "آليه تسخير العالم الثالث لمصالح الغرب ويقوم بها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي - واللذين أنشاتهما وتسيطر عليهما الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها الغربيون عن طريق تقديم قروض للدول التي تمر بصعوبات معينة تحت شروط سياسية واجتماعية واقتصادية ومالية تسمي "برامج الإصلاح" أو خطة الاصلاح البنيوي" حفارو القبور ص٣٢".

ويستطرد جارودي قائلا :

"تحكم هذه "الليبرالية" الدول النامية بشكل أفضل من الاحتلال العكسري أو الديكتاتوريات العسكرية" حفارو القبور ص ٣٣

قصدت من العرض السابق أن أبين بعض ملامح النموذج المادي الذي سقط ولكنه يتلون كما تتلون الأفعى !

لقد فشلت الحضارة الغربية بجناحيها الليبرالي والماركسي !

وإنهارت الحضارة الغربية المفرطة في

مـاديتـهـا وقـد تنبـأ اللواء أ.ح الدكـتـور (فوزي محمد طايل) (رحمه الله في كتابه الجاد كيف نفكر استراتيجيا من منشورات مركز الإعلام العربي - مصر) .

نحن إذن أمام أقلام كبيرة

- الدكـتـور العـالم (عـبـد الوهاب المسيري)

- الفيلسوف الكبير (روجية جارودي)

- اللواء أ. ح. د. (فوزي محمد طايل)

بينوا لنا تهافت المادية بكل أشكالها وسقوط رجالها ومجتمعاتها سواء كانت غربية أو شرقية وكل واحد من هذه الأقلام لديه ما يكفيه من الرصيد الإيماني الكبير الذي بني على قاعدته كل فكرة وفلسفته .

ومما يلفت النظر إلي عظمة مـا يقـولـه كل من (عبد الوهاب المسيري ، وجارودي، فـوزى طايل) تطابق رأي رئيس جمـهـورية التشيك - فانسلاف كلاوس - مع مـا ذهب إليه كبار كتابنا من رأي في قضايا البيئة والاحـتـبـاس الحـراري وتغـيـر المناخ فـقـال فانسلاف كلاوس :

(إن وراء هذه الحركـة مـصـالح كـبـرى وسياسين مستفيدين تحولوا إلى ما يشبه السلطة العليـا وجـعـلوا أصـحـاب الرأي المخالف لهم كأنهم متمردون) .

ويصف كـلاوس كـلام آل جـور المروج الأول لمقـولـه كـارثة الكوكب (بالسـخـف والإعذار الزائف) .

ويستطرد قائلا :

"فـلا إجمـاع علمي ولا برهان ولا رأي قاطع يثبت أن الغازات المنبعثة المتبقي" من أنشطة الإنسان تسـبـب احـتـبـاسـا حـراريا مؤذيا للأرض".

وأورد كلاوس أيضا :

"أن م. هولاندر الأسـتـاذ بجـامـعـة كولومبيـا قـال إن ارتفـاع درجة الحرارة في الأرض أو انخـفـاضـهـا إنما يحـدث منذ مـلايين السنين في دورات هي جـزء من المناخ الطبـيـعي للأرض ؛ المعتـاد إذن أن تدفـأ حـرارة الأرض في القـرنين الآخـرين بينما سادت البرودة في القرون الخمسة الماضية" نقلا من مقال الأستاذة مها عبد الفتاح المنشور بجريدة الأخبار ص١٢ في ٢٠١٠/٢/١٣ وقـد قـال هذا الكلام بالضبط الدكتور فوزي طايل في كتابه كيف نفكر استراتيجيا وقد سبق الإشارة إليه .

وقد عـرضت لهذا المقال لتـأكيـد رأي الأستاذ/ روجيـة جـارودي في هذا الشأن من أن النظام العالمي الجديد بسيطرته على السيـاسة والاقتـصاد إنما يحفر للإنسانية قبرها .

ويؤكـد أيضا مـا قـاله الدكـتـور (عـبـد الوهاب المسيري) في ضرورة البعد الديني للإنسان .. ويؤكد أيضا مـا قـاله الدكـتـور فـوزي طايل وتبـيـانه من سـقـوط الفكر المادي بجناحـيـه اليـبـرالي والماركـسي .. هذا ، وأن (منزل العـودة) في انتظارنا جميعا في الوقت المعلوم ولكل أجل كتاب .. وبقي أن أنعي حظ الأمة في (الكتاب الأخـضـر) وأرحب مع غـيـري بكـتـاب (فـلانسلاف كـلاوس : كـوكبنا الأزرق في قيود خضراء) .

لقـد عـمـل (الدكـتـور عـبـد الوهاب

المسيري) والعمل في الشريعة ليس أمرا ماديا بل نجد أن البعد الإيماني فيه أظهر فالعمل فريضة وقيمة وتنمية وفضيلة في آن واحد، لذا فإنه كان من الضروري أن يقصد به وجه الله تعالي - والعمل يطلب ويؤدي لذاته ابتغاء وجه الله تعالي في المقام الأول، وهذا أدعي إلي مراقبة الله وإتقان العمل علي درجة الإحسان ولأن العمل يكفر الذنوب ويعطي التوبة مصداقية.

يقول الأستاذ الكبير (روجية جارودي) :

"هناك عقيدة أخرى تلقيناها عن أجدادنا، وهي أن الثقافة الغربية ليست لها سوي مصدرين .. الأول : الثقافة اليهودية المسيحية، والثاني الثقافة اليونانية الرومانية إنها بالطبع رؤية قصيرة النظر أو فكرة وهمية إيدتها بعض النظريات الجامعية القديمة (٢) .

ويجرنا هذا الكلام إلي ما هو أعمق، إنه يقرر وهو الغربي المنشأ أن لكل أمة خصائصها الحضارية التى تميزها عن غيرها وهو في هذا يتفق تماما مع الواقع المعيشى الحقيقي لا الواقع المزور المزيف ولا يمكن أن تعبر خصائص المجتمع اليوناني أو الروماني عن المجتمع العربي ولا العكس! ولا اعتبار لثقافة الغالب لأنها ثقافة مزورة مهما كان. والأدب على اختلاف أجناسه ما هو إلا تعبير عن خصائص الأمة ولا يمكن لقلم جاد أن يغترف إلا من واقعة الحقيقي، ولندع المفاهيم التجزيئية والتلفيقية وأن نسقط مفهوم الانبهار بالغير ومحاولات التقليد الأعمي دون إعمال للعقل الفاحص في ضوء المرجعية الحضارية للأمة .

ولا توجد الأعمال الأدبية إلا ولها قاعدة فكرية تقوم عليها وإلا يكون المجتمع فاقداً للخصوصية التى تميزه عن غيره من المجتمعات وقد قرأنا في الصبا الباكر الأعمال الأدبية الغربية بعد تمصيرها ؛ أي أخضعناها لقيم المجتمع وخصائصه حتى تحظي بالقبول، وهذه ليست دعوى لتمصير الآداب عموما فعندنا من الأجناس الأدبية القائمة علي الخصائص الحضارية الذاتية ما يؤهلنا أن نعيد للعالم أجمع الصيغة الإنسانية التى فقدها خلال ما يسمي بالحقبة الاستعمارية سواء في شكلها القديم أو شكلها الحديث (الاستعمار العالمي الجديد) ! التى تأسس عام ١٩٩٢ على الفكرة التى أذاعها الرئيس الأمريكي كلينتون يوم تنصيبه في ١٩٩٣/١/٢٠ وهي : (أن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري، وإننا لنستشعر أن علينا التزاما مقدسا لتحويل العالم إلي صورتنا) .

(.. To Transfer the world our image)

وهذا الكلام الخطير الذي أذاعه الرئيس الأمريكي كلينتون هو ما تفعله أمريكا بالضبط في محاولاتها لإزاحة القيم التى تحكم مختلف الأمم لتحل محلها القيم الأمريكية القائمة على المفاهيم التى تحكمها في مختلف الأنشطة من أدب واقتصاد واجتماع وسياسه !!

وقبولنا لهذا الأمر هو تنازل عن خصوصيتنا الحضارية دون أدني شك. فلتؤمن أمريكا بما تشاء!! ولا يعنينا إيمانها بهذه أو تلك !!

وقد لخص الأستاذ الكبير (روجيه جارودي) قيم الحضارة الغربية قائلا : (.. حداثة فن البوب والرسم الحديث والموجة الحديثة والرواية الحديثة وأيضا الفلسفة الحدثية التى تتصف بانعدام الفلسفة - تعمل على محق إنسانية الإنسان في كل مجالات الثقافة. أصبح هذا التغييب للإنسانية هو المعيار المهم للحداثة) (٣) .

إن الحرب التى أعلنها (جارودي) على الحضارة المادية بجناحيها الليبرالي والماركسي هي حرب عادله على النموذجين لافتقادها لعنصر الإيمان الذي لا غني عنه في قيام الحضارات مهما ادعي المتحذلقه وكهنة الفكر وسدننه! ومما تجدر الإشارة اليه أن الدكتور (عبد الوهاب المسيري) قد أعلن حرية هو الآخر على الحضارة المادية والنموذج المعرفي المادي قائلا : (أما إخفاقات الحضارة الغربية الحدثية فلا تقل ضخامه عن إنجازاتها الأزمة البيئية - الحروب العالمية - فقدان الاتجاه - ظهور العبثية - تحول الوسائل إلي غايات) (٤) .

وقد انتهي الدكتور المسيري إلي الاعتراف بفشل الأنموذج المادي ! كما انتهي من قبل الأستاذ روجيه جارودي إلي نفس النتيجة !

إن شعر الخيام - مع صحة نسبته إليه - فيه متعه فنية، وشعر نزار فيه متعة فنية، وروايات ألبيركامي، فيها متعة فنية، ومسرح جان أنوي وبرخت وهنريك أبسن مشحون بالمتعة الفنية .

ولكن هل هذه الأعمال الأدبية تحمل رساله مفيدة للمجتمع ؟ لا أعتقد أن شعر نزار قباني مثلا يحمل رسالة مفيدة للمجتمع، ولا روايات العبث مفيدة للمجتمع ! بل على العكس ؛ إنها تهدم قيمه ؛ فهي مخالفة لوظيفة الأدب! وفي قول منسوب للدكتور طه حسين (إن وظيفة الأدب هي أن يعلو بالجماعة لا أن يهبط بها) .

وأذكر أنني سألت الدكتور عبد السلام العجيلي وهو من كبار المثقفين في سوريا وله وزنه الثقافي في العالم، سألته عام ١٩٧٦ عن هذه القضية فكانت إجابته خطاب مطول انتهي فيه إلي أن (الأدب لابد أن يكون له رسالة مفيده للمجتمع) وأعتقد أن الرسالة المفيدة هي الرسالة المقيدة بمنظومة القيم التى تحكم المجتمع والمستمدة من خصائصه الحضارية .

نعود فنسمع من يقول : رسالة مفيدة؟! ليس للإبداع حدٌ !! ليس للإبداع سقف !! نقول له : إذا كان للعقل سقف أفلا يكون للإبداع سقف ؟!! مليئة هي حياتنا بالغرائب !

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري :
"منذ عدة سنوات كتبت تقريرا لكلية الآداب بجامعة الملك سعود بينت فيه أن من أكبر آفات البحث العلمي في العالم العربي انفصاله عن المعجم الحضاري الإسلامي وافتراض أن ثمة معرفة عالمية علينا أن نحصيها متناسين تراثنا وهويتنا

وأشرت إلي أنه لا يمكننا أن نبدع مادمنا استنمنا لهذه المقولة فهي تعني المحاولة الدائمة للحاق بالغرب (فالعالمي في منظورنا هو الغربي وحلا لهذه المشكلة افترضت تشجيع الباحثين على الانطلاق من منظور عربي إسلامي يساعد الباحث على اختيار إبداعات جديدة كما يساعده على أن ينظر إلي الغرب باعتباره تشكيلا ضمن تشكيلات حضارية أخرى وليس التشكيل الحاضري المطلق) (٥).

باختصار شديد : للأمة خصائصها الحضارية التى تميزها عن غيرها من الأمم، وأي محاولة للعبث بالمفاهيم الحضارية التى تتشكل على قاعدة الدين هي محاولة لجر الأمة إلي الوراء تحت يفط عديدة أهمها يافطة الحداثة في رفضها للمرجعيات أو فكرة - الانشقاق عن التراث كما يقول جارودى - لكننا مع الحداثة البديل التى تنمي وجودنا المادي ولا تنكر الأبعاد الروحية لهذا الوجود" رحلة المسيري (٦).

الحداثة البديل : في الأدب، في الا قتصاد، في الاجتماع، في السياسة، في العلم النافع، الخ ..

لولا الوحي لظللنا عميانا ! لقد صدق الدكتور (مراد هوفمان)! والرجل قدم للأمة الإسلامية الكبيرة، والتى قوامها مليار ونصف مليار مسلم إجابات شافية عن الأسئلة التى يطرحها البعض من أمثال بسام طيبي، نصر أبو زيد، على حرب، حسن حنفي ومحمد أركون، وصلاح فضل، وكل (رواد الحداثه) في الفكر والأدب والأخلاق! لقد شغلوا الأمة عن قضاياها الكثيرة وأدخلوها في نفق مظلم ساعد النظام العالمي الجديد على إن يسدد للأمة الإسلامية ضربات موجعه لا تفيق من واحدة حتى تلطمها الأخرى وسواء كانت الأسباب معلومة أو مجهولة فالدور الذي يقوم به (رواد الحداثة) واضح لا يحتاج إلي بيان فهم على الجملة امتداد طبيعي لدعاة الغزو الفكري الذي بدأ في ١٧٩٨م باحتلال فرنسا لمصر تحت (دعوى التحديث) ! امتداد طبيعي لأفكار (فرويد، أوجست كونت، وإميل دوركايم) وكل الذين ضمهم كتاب (هؤلاء علموني) للأستاذ سلامه موسي بالإضافة إلي تعميم الثقافة الاشتراكية التى ترسخت قيمها في المجتمع المصري اعتبارا من السنوات الأولي من قيام الجيش المصري بحركته عام ١٩٥٢م وامتدت آثار التعميم إلي الدول الإسلامية المجاورة.

ساعد في ذلك الانتصارات الدبلوماسية التى أحرزتها مصر في أزمة السويس، فكانت الثقافة الاشتراكية تعمل عملها إلي جانب ثقافة النخبة حينذاك وهي الثقافة الليبراليه وأصبح المجتمع المصري بين ثقافتين، ثقافة ليبرالية دخلت مع الغزو الفرنسي، وأخرى اشتراكية دخلت مع تزايد النفوذ الماركسي في مصر قبل أن يأتي إليها (نكيتا خرتشوف) والذي حرص على ألا يحضر قبل أن يخرج كل ماركسي من سجنه وأن يعفوا النظام الحاكم عنهم ويخيرهم في الوظائف ليحتلوا برغبتهم وظائف الثقافة والإعلام حتى

تربوا على عرشها بعد حين بتأييد خارجي فاعل. وأصبحت مصر بين ثقافتين ثقافة اشتراكية وأخرى ليبرالية !! وتوارث ثقافة الأمة وانزوت في ركن بعيد !!

نعم، إن (رواد الحداثه) امتداد طبيعي لما أحدثت الثقافات الوافدة من إجرام وتدمير في العقول والنفوس انتهي إلي ترحيل ثقافة الأمة من فاعل إلي مفعول به وقام بهذا الأمر الشائن بعض أبناء الأمة !! انهزامية وتبعية لا نظير لها في الأمم المغلوبة ولا شك أن حملة الأقلام الذين تربوا على ثقافة المحتل قد ساعدوا على غرس مفاهيمها في عقول الناس ساعدهم الإعلام الحكومي القوى بآلتة الإعلامية الجبارة التى غطت القارة الإفريقية!

وبنفس القدر عمل رواد التبعية والانهزامية على تهيئة ا لأمة لقبول المفاهيم (الليبرالية)، والتى غزت مصر في بدايات القرن الماضي بواسطة الكتاب الشوام (جورج زيدان) الذي تخصص في كتابه تاريخ الأمة الإسلامية .

وقد حوله إلي قصص للتسلية والترفيه!! هل هذا معقول ؟! ولا أدري كيف يصف الدكتور (حسين مؤنس) الأستاذ (جورج زيدان) بأنه من طبقة المؤرخين المنصفين ؟!

وسواء انتقلت (الحداثة) من مصر أو إلي مصر فالنتيجة واحدة.

يقول الأستاذ الدكتور "عبد العزيز حمودة" : (نحن فعلا بحاجة إلي حداثة حقيقيا تهز الجمود وتدمر التخلف وتحقق الاستنارة لكنها حداثتنا نحن وليست نسخة شائهة من الحداثة الغربية) (٧) .

والسؤال الأن : هل الحداثة الغربية امتداد طبيعي للفكر الماركسي؟ وهل سقطت مفاهيم البنوية والتفكيكية وانتهت وماتت كما يقول الدكتور محمود حسين زيني .

والحقيقة أن النفر منا غدا لا يفهم شيئا أو استغلق عليه فهم الأمور لاختلاطها وصعوبة فرزها بعضها من بعض، والأمر على هذا النحو، تشعر أنك في سوق شعبي كل ينادي فيه على بضاعته! والذي أميل إلي اعتقاده أن حكاية البنيويه والتفكيكية ما هي إلا ألعاب يلهو بها البعض من الذين أرهقهم الترف الفكري! أصبحوا يشكلون للأمة ضغوطاً في كل نوع حتى تنسي لغتها وأدبها وثقافتها المميزة لها عن باقي الأمم .. هذا ما نعتقده لأنه لا ينسجم مع أبجديات ثقافة الأمة ولا ينسجم مع خصوصياتها على الإطلاق .

أن الثقافة المزروعة في أرض غير أرضها لا يمكن أن تحيا، مهما حاول زراعها .

يقول الدكتور عبد القادر القط : "إن النقد في أيامنا هذه مصاب بداء التأثر بفاقد بعض نظريات النقد الغربي ومناهجه في التطبيق وانتهي الأمر بهؤلاء إلي الاندماج الكامل مع الغرب في المنهج والأسلوب وتجاهل هؤلاء النقاد الفروق بين النصوص العربية والنصوص الغربية (٨).

ويقوا أيضا عن النص الأدبي : "يمثل النص الأدبي صورة فنية للحياة بقضاياها

ومتناقضاتها ونماذجها و بقدرتها على إثارة الاهتمام أو المتعة أو الدهشة" (٩) .

والدكتور عبد القادر القط من كبار أعلام الأمة الإسلامية في الأدب العربي ولكن كمال أبو ديب يرفض ومن هم على شاكلته - أن تكون للأمة خصوصية ومرجعية ويأبي إلا أن تكون أمته العربية الإسلامية تابعة مهزو مة ولله في خلقه شئون .

إنه الانبهار والتسليم الكامل للفكر الوافد وقبل كل هذا إنه الترف الفكري المجنون الذي يكفي فيه أن نقول كلاما فارغا ليشار إليك وتصبح في بؤرة الاهتمام وخذ عندك من المؤلفات الفارغة ما تعجز عن حصرة وبيانه وتكفي الإشارة إلي مؤلفات السدنه والكهنة الكبار من أمثال حسن حنفي، د. عابد الجابري، عبد الله العروي ومحمد أركون وعلى حرب ونصر حامد، وأخيرا د. القمني الحائزة على جائزة تقديرية لعلمه ونبوغه !!!

وسبحان الذي بيده ملكوت السماوات والأرض

نحن أمام مشكلة خطيرة تمس عقيدة الأمة .. وهي تقدم (الزيف) في معظم أنشطتنا الأدبية وتراجع بل محاربة كل نشاط يتضمن تقوية عزائم الأفراد ويقويها ويحرضها على العمل الجاد والإخلاص وصولا إلي الإحسان الذي هو أعلي مراتب الإيمان .

إن الحداثة على النمط الغربي محو كامل، إصرار على التلفيق وإشارات جنسية واضحة فاضحة، وتعد على القيم بشكل جنوني في محاولة لإسقاط حرمة الحدود ، ومن أسف فقد نجحت المحاولات لأنها وجدت السند القوى سواء من الداخل أو الخارج، لقد نجحت بالفعل وسيطرت على الأفهام وأخذت تعمل عملها بنجاح، تراها تعمل كل في مجاله ويقف من خلفها جيش من المنظرين والمنظمين !

إنها حرب ثقافيه أعلنت على خصوصيات الأمة وتاريخها في محاولة جادة لنزع هذه الخصوصية !

ولكن الله هيأ لهذه الأمة من يدافع عنها ويرد كيد الطادين، وفي عصرنا نجد من آتاهم الله الحكمة يقفون في وجه كل ظالم معتد مروج للاباطيل، ليكشفوا عن حقيقته ويقدموه للأمة في صورته الأصلية!

وها هو الدكتور (مراد هوفمان) يكشف حقيقة (بسام طيبي)! وها هو الدكتور (عبد العزيز حمودة) يكشف حقيقة الحداثة الغربية وروادها! ويفضح فكرهم الاستخرابي! وها هو أيضا الدكتور (عبد الحميد إبراهيم) يكشف هو الآخر في كتابه (الرواية العربية والبحث عن جذور) عن علاقة الرواية بمنظومة قيمنا وخصوصية الأمة !

في زمن الكتابة كنا نقرأ للدكتور (شكري محمد عياد) والدكتور (عبد القادر القط) والدكتور (أحمد هيكل) والدكتور (غنيمي هلال) وغيرهم ممن انتسبوا إلي فكرهم ومدرستهم، كنا نقرأ لهم ونفهم ماذا تعني كل كلمة على التحديد، وماذا يريد أن يقول الكاتب، أما الآن فالقضية أكبر وأخطر وأعظم مما

نتصور .. إن شرف الكتابة يمرغ من الوحل! هل يستطيع النفر منا أن يفهم كلمة واحدة من كتاب أخرجه لنا حداثي صغير ؟! لا .. والله .. غموض وطلاسم وأساطير وترهات! ويا ليتهم عالجوا الأساطير معالجة صحيحة في إطار تصور سليم عن الكون وخالقه ولكن جاءت أعمالهم جلها نسخة مزورة من (الأدب الغربي) فلابد أن يستغني بالأصل عن الصورة فجاءت أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء !! أدب مزور باهت !

في كتابه (فوضى العالم في المسرح الغربي) يطلعنا الدكتور عماد الدين خليل على خيبة الأمل في المسرح الغربي الذي تعتمد مفاهيمه على ترهات اليونان والرومان وكون العلاقة بين الله والإنسان علاقة خصام وحرب!! وتنسحب كل المفاهيم على المنتجات الأدبية من مسرح وقصة وشعر إلخ من الأجناس الأدبية وينتهي الدكتور عماد إلي أن لنا خصوصية ولهم خصوصية ولا يصح أن نتعامل بما أسسوا عليه فكرهم من أباطيل وخرافات والذين يتعاملون معهم حسب هذه الأسس ما هم إلا صورة مزورة باهته ! وقد أكد هذا الكلام الأستاذ (محمد قطب) في معظم مؤلفاته.

إذن الحداثة على النموذج الغربي أو ما يتعلق بها من قريب أو بعيد صورة مزورة ومؤسسة على الأساطير اليونانية أو الرومانية أو غيرها من الوثنيات كالفرعونية والأشورية والبابلية والفينقية وما كانت الهجمات الاستعمارية المتتالية من الفرنسي والإنجليزي التى نكبت بها مصر من ١٧٨٩م إلا لفرض نظام من الثقافة يخالف ثقافة الأمة ليسهل تمزيقها وما كانت الأفكار التى بذرت في أرض البلاد إلا بداية لتعميق الأفكار الوافدة حتى تأتي أكلها وبالفعل راحت الدوائر المشبوهة تعمل عملها على نشر الثقافات الوافدة إلي الدرجة التى زلزلت فيها العقول النفوس على أثر نشر كتابات مخالفة لما استقرت عليه الأمة بدعوى التجديد والبعث والتحديث والنهضة والمعاصرة ! فجاءت أعمال الدكتور طه حسين، والشيخ على عبد الرازق وسلامة موسي ولويس عوض وجورجي زيدان مخيبة لآمال الأمة حيث نقلت إليها العديد من الأفكار التالفة والفاسدة واعتبر المستشرق هو المرجع النهائي !! هذه صورة مجملة من الواقع وقد حفل كتاب الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين في جزئيه بكلام غاية في الخطورة عن علاقة معظم كتابنا بالاستشراق واعتبار الأخير هو الملاذ والحكم وإليه يرد الأمر كله ولا حول ولا قوة إلا بالله وبدلا من أن تكون المرجعية العليا للكتاب والسنة أصبحت المرجعية العليا لفرويد وأوجست كونت ودوركايم وماركس وسارتر! مصيبة ما بعدها ولا قبلها مصيبة .. بل احتل المستشرق في بعض الجامعات كرسي الأستاذيه مثل كرستوفر سكيب! واحتل الآخر كرسي العضوية في مجمع اللغة العربية الذي لم ينشأ إلا لتحطيم اللغة العربية إلا أن أراده الله إعادته إلى

الحق. عموماً القضية فيها متسع للمناقشة أكبر مما يتصوره الفرد منا، لقد شمل معظم الكتاب الإحساس بالنقص أمام الفكر الوافد الذي ساعد على انتشاره بعض كبار كتاب الأمة أو قل نقلوه بلا حرص ولا تدقيق بدعوى التحديث والتجديد!! لذا على الواحد منا ضرورة إعادة فحص معرفته في ضوء مرجعيته الأساسية: القرآن الكريم والسنة النبوية.

وعند إعادة الفحص وجد أن البضاعة الواردة فاسدة وتالفة فوضعها في جوال من الأجولة وحدد لها مساحة معينة في أقصي زاوية من دماغه ليشملها النسيان مع غيرها من الأباطيل، ولكي لا نعود على القارئ باللائمه سأنقل إليه بعض ما قاله بعض كبار الكتاب:

يقول د/طه حسين: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلا عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلي مكه ونشأة العرب المستعمربه فيها" ص٢٦ من الشعر الجاهلي.

ونظراً لأهمية كلام الدكتور طه حسين فقد أعاد غالي شكري نشره كاملا بمجله القاهرة في عددها رقم (١٤٩) الصادر في إبريل ١٩٩٥! ولا أدرى ما هي الأسباب التى تدعو مجلة تصدر عن هيئة الكتاب التابعة للدولة أن تعيد نشر هذا الكلام البذيء، والذي تعرض صاحبه للمحاكمة في ١٩/١٠/١٩٢٦ أين حرية الفكر في هذا الكلام؟! كلام يعرض عقيدة الأمة للخطر الداهم ويأتي رجل لا يعقل من أمرة شيئا كرئيس تحرير المجلة ليعيد نشرة! ألا يكفيه أن الكتاب توزعه مؤسسة حكومية أخرى هي دار المعارف بعد إجراء بعض التعديلات على ما جاء فيه ولكن بعد أن احتل الكتاب من الأدمغة مساحة واسعة وساعد على انتشاره أنه كتب والاحتلال الإنجليزي جاثم على صدر البلاد والعباد! ثم يمنح الدكتور طه حسين القلادات والأوسمة ويلحق باسمه أنه عميد الأدب العربي! ثم، من منحه هذا اللقب ؟!..

وما علاقة الدكتور طه حسين بالعرب بعد إنكاره لوجود سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما الصلاة والسلام وذكره لهما بالاستخفاف الذي عرف عنه في مخاطبة الناس.

هل هذه هي الحداثة ؟ نعم هذه هي الحداثة ؟

ويذكرنا الحديث عن الدكتور طه حسين بما قاله الشيخ مصطفي صادق الرافعي عنه: "حسبه من العلم أن يقول إن ما كان لم يكن وإن ما لم يكن يجوز أنه قد كان" !..

وذلكم الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي وسنكتفي بما كتبه الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب (ولم يكن طه حسين يروج للفكر الرأسمالي والحضارة الغربية فحسب بل كان لا يفسح المجال لكاتب يكتب في مجلة يرأس تحريرها إلا إذا كان بوقا للحضارة الغربية على

شاكلته!) ص١٦، كتاب طه حسين مفكرا، دار إحياء التراث، ١٩٧٨

وأحب أن أنقل لكم ما كتبه الأستاذ ميخائيل نعيمة عن الأدب العربي" أيضاً: "أسمع أصواتاً تنادي وأري أيادي تمتد نحوي وألسنة تصب على النقم والكل يقولون: "وهل نسيت وأنت جاهل أسماء امري القيس والنابغة الذبياني ولبيد وعلقته وعنترة والمهلهل والمتنبي والهمذاني والأخطل وإبن رشد وابن سينا .. إلخ من الأقدمين وشوقي وحافظ والمطران وكثير من المحدثين ؟.. كلا يا سادتي أنا لم أنس هؤلاء كلهم بل لا أتجاسر أن أزعج سكينة قبور الراقدين منهم ولا أن أرفع عيني الخاطئين إلي أكاليل الغار وأهلة النور فوق رءوس الباقين في قيد الحياة .. إنما أهمس لكم همسا كي لا أثير غضبهم: أن غثهم أكثر من ثمينهم، وعلى كل لا أظنكم ظالمين إلي حد أن ترفعوا أحدا منهم إلي مصاف هوميروس وفرجيل ودانتي وشكسبير وملتون وبيرن وزولا وجوته وتولستوى خلقوا وماتوا (يقصد الشعراء العرب) ليتغزلوا بظبى الفلاه ولمعان المشرفيات ووقع سنابل الخيل وسفك الدماء ومشي الإبل وأطلال المنازل ونار القرى... إلخ" (١٠).

هذا ما يقول الدكتور عبد العزيز حمودة عن ما كتبه ميخائيل نعيمة: (ما أسهل أن ننحي رأي ميخائيل نعيمة جانبا بدعوى أن الرجل كتب "غرباله" في نيويورك حيث تلقي تعليما غريبا خالصا في المهجر الأمريكي وأنه من المنطقي أن يصدر حكمة على إنجازات العقل العربي من هوي مسبق وتحيز جاهز) (١١).

ويضيف الدكتور عبد العزيز حمودة رحمه الله: "وإذا كان ذلك كذلك فماذا تقول في حماس العقاد والمازني في ديوانهما الذي لابد أنهما كتباه في السنوات نفسها لكتابة مقالات نعيمة والتى تعود إلي عام ١٩١٩م؛ أي قبل صدور جزءي الديوان في ١٩٢٠- ١٩٢١ (١٢).

أخيراً

أقلام شغلت الأمة عشرات العقود ولا تزال كلماتها تعمل عملها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويأتي الذين أجهدهم الترف الفكري ليعلنوا للناس كافة ضرورة الحداثة وإلا ستكون النهاية والسؤال هو أي حداثة يعنون !! هل هي الحداثة التي يعنيها الدكتور عبد العزيز حمودة وهي قوله بالنص (نحن فعلا بحاجة إلي حداثة حقيقية تهز الجمود وتدمر التخلف وتحقق الاستنارة لكنها حداثتنا نحن وليست نسخة شائهة من الحداثة الغربية) أما إذا كانت حداثة محمد حرب وكمال أبو ديب فهي مردودة على مروجها مهما كانت وأين كانت.

والحمد لله رب العالمين

زغلول عبد الحليم

هامش:

١- نذكر من الذين أخضعوا ذواتهم للفحص الدكتور عبد الرحمن بدوى رحمه الله قضي عمره في الدفاع عن الوجودية وعاد في النهاية إلى الاعتراف القوي بإهمية البعد الديني للإنسان وأصدر كتابيه (١) الدفاع عن محمد صلي الله عليه وسلم (٢) والدفاع عن القرآن الكريم ضد منتقديه وكلاهما من نشر مكتبه مدبولي الصغير بمصر .. ونذكر أيضاً عبد الهادي هوفمان سكرتير عام الحزب المسيحي الألماني سابقاً والرئيس الحالي للأكاديمية الإسلامية بألمانيا حالياً وسبحان الحي الذي لا يموت !!..

٢- روجية جارودي، الإرهاب الغربي، ص١١٢، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٤، مصر .

٣- روجيه جارودي، حفارو القبور، ص.٨٣، مكتبة الشروق ط٣، ١٩٩٨-مصر .

٤- د. عمرو عبد المنعم، رحلة عبد الوهاب المسيرى، ص١٣٠، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (٣٤)، ٢٠٠٦ مصر .

٥- د. عمرو عبد المنعم، رحلة، مرجع سابق ذكره، ص٦٨

٦- د. عمرو عبد المنعم، رحلة، مرجع سابق ذكره، ص٢١٤) .

٧- من المرايا المحدبة "سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٣٢/ الكويت، ١٩٩٧، ص ١١ .

٨- مجلة الأدب الأسلامي العدد رقم ٤٥ ص ١٩ (من مقال الدكتور/ محمود حسين زيني .

٩- مجلة الأدب الأسلامي العدد رقم ٤٥ ص ١٩ (من مقال الدكتور/ محمود حسين زيني .

١٠- نقلا عن كتاب المرايا المقعرة للدكتور عبد العزيز حموده، سلسلة عالم المعرفة الكويت، العدد رقم ٢٧٢، ص.٥٣

١١- د. عبد العزيز حمودة المرجع السابق، ص.٥٩

١٢- د. عبد العزيز حمودة المرجع السابق، ص.٥٩

مع الباعة والمكتبات

حارة اليهود

سيد العظماء صلى الله عليه وسلم

مهداه إليه فى يوم مولده

من الكتب الهامة التى ظهرت فى أمريكا كتاب اسمه (المائة) .. والكتاب مجلد ضخم يقع فى ستمائة صفحة تقريباً، ويحاول الكتاب ترتيب أهم مائة شخصية أثرت فى تاريخ الإنسانية..

إن أحداً لا يكره النفوذ، بل إن الناس يسعون إليه، وكل واحد من هؤلاء المائة كان يملك نفوذا هائلا، وكان يحرك مصائر الملايين والبلايين، وكان يتحكم فى صعود الحضارات أو هبوطها، كما كان كل واحد من هؤلاء المائة يملك القدرة على تحويل مجرى التاريخ..

مؤلف الكتاب هو الدكتور ميشيل هارت، وهو أصلا أستاذ فى الرياضيات والطبيعة والفلك، وقد عمل فى مشروع غزو الفضاء، ولا علاقة له بالتاريخ أو فلسفته أو الأديان المقارنة .

من تظنه وضع على رأس المائة الذين أثروا فى تاريخ العالم ؟

لقد قدم الدكتور ميشيل هارت مفاجأة.. لم يختر المسيح ولم يختر كارل ماركس.. وإنما اختار محمدا.. نبى الإسلام .. الثانى بعده هو اسحق نيوتن.. الثالث بعده هو السيد المسيح.. الرابع هو بوذا والخامس هو كونفشيوس.

ومما يلفت النظر أن هذا العالم الأمريكى قد اختار عمر بن الخطاب ليكون الشخص رقم ٥٠ فى عدد المائة الذين اعتبرهم مسئولين عن تحول البشرية..

قال النقاد عن الكتاب: إنه يتحداك ويقنعك، وحتى لو رفضت أن تقتنع فإن ما يقدمه الكتاب سوف يستولى على عقلك فى نفس الوقت الذى يمتعك فيه.. والمتعة هنا هى متعة تحليلية يقدمها رجل عالم فى الفلك والرياضيات، وله معاييره التى تختلف عن معايير أساتذة التاريخ.. وينبهنا المؤلف فى بداية كتابه إلى أنه لا يقصر الأهمية على معنى العظمة.. فكتابه عن الأهمية.. بمعنى التأثير الحقيقى على إدارة عجلة التاريخ.. والقدرة الفعلية على تحويل مجراه..

يحكى فولتير فى كتابه (رسائل عن الإنجليز) أنه خلال إقامته فى إنجلترا سنة ١٧٢٦ قابل مجموعة من المثقفين الذين طرحوا سؤالا يقول من كان أعظم الناس.. قيصر.. الاسكندر الأكبر.. تاليران.. أو كروميل.. وقرر أحد المثقفين أن إسحق نيوتن هو أعظم الجميع بلا استثناء.

فولتير فى تحليله يرى أننا بفضل نيوتن صرنا نحكم عقولنا بقوانين الحقيقة ولا نذلها بالعنف أو نلفق لها الأكاذيب والدجل.. وهذا معيار العظمة عند فولتير.

ما هو معيار العظمة ومعيار الأهمية عند المؤلف الأمريكى، وعلى أى أساس اختار العالم الأمريكى محمداً النبى العربى ليكون الأول.

يعتبر الكاتب الأمريكى ميشيل هارت أن محمداً هو الوحيد صاحب النفوذ الأعظم على التاريخ الإنسانى.

ويفرد الكاتب فى كتابه (المائة) .. سبع صفحات عن رسول الله ﷺ، من بين الصفحات السبع صفحتان تحتلهما خريطة للمد الإسلامى، ونصف صفحة تحتلها لوحة لرسام تخيل جيش المسلمين وهو يغزو تحت علم الله، وهذا الفصل الذى يعطيه الكاتب عنوان (محمد) .. هو أطول فصول الكتاب، فليست هناك شخصية تزيد عن ست صفحات، ومعظم الصفحات عن الشخصيات تحتلها الرسوم والصور، والكلمات التى تحدث فيها عن الرسول لا تزيد عن ١٥٠٠ كلمة، وأسلوب الكاتب مركز جداً، وهو يستند إلى معلومات دقيقة، والإحساس الذى يخرج به القارئ أن الكاتب الأمريكى قرأ بعمق آلاف الصفحات وفهمها جيداً قبل أن يكتب ..

وعقل الكاتب من نوع غريب، وربما كانت غرابته هى مصدر قوته فى نفس الوقت، فالمؤلف عالم فى الرياضيات والطبيعة والفلك، وهذه العلوم ليس فيها لف ولا دوران، كما أنها علوم ليس فيها تعبير أو إنشاء، فأنت لا تستطيع مثلا أن تحل مسألة هندسية بالتغزل فى جمال المثلث أو وصف دوران الدائرة.

نحن أمام علوم من لون خاص، وسر لونها الخاص أنها تحقق ما لا يمكن النفاذ إليها إلا عن طريق مفاتيحها الصحيحة.

ولقد قرأت عن الرسول ﷺ لمؤلفين عرب ومؤلفين من غير العرب، وقرأت عنه لمؤلفين مسلمين وغير مسلمين، وقرأت عنه لمن يحبه ولمن يكرهه ويكيد له، فلم أر مؤلفا فى إيجاز ميشيل هارت، إنه يستعرض قصة حياة الرسول وقصة حياة الدعوة فى صفحة ونصف، ويفرد ما يقرب من ثلاث صفحات ونصف لتحليل سر اختياره لمحمد ليحتل المركز الأول فى التأثير على عجلة التاريخ. والمؤلف ليس مسلما من أتباع محمد ليقال إنه جامله واختاره ليكون أعظم المؤثرين فى التاريخ الإنسانى، بل على العكس من ذلك، المؤلف مسيحى من أتباع عيسى، ولأن ميشيل هارت عالم فى الطبيعة والفلك يسيطر عليه حياد علمى من لون غريب، ويسيطر عليه منطق العلماء فى التحليل والتركيب، وأى كاتب عربى مثلا لا يستطيع أن يقارن محمداً

بعيسى، ويخرج من مقارنته بأن أحدهما كان له تأثير أكبر من الآخر على التاريخ، ولكن ميشيل هارت يفعل ذلك دون خشية، وأى كاتب عربى يتحرج أن يقارن بين حروب الإسلام وحروب المغول، ولكن ميشيل هارت يفعل ذلك ببساطة دون حرج.. وينتهى إلى تفضيل حروب الإسلام على أى حروب أخرى فى التاريخ .

ولو سمح لى القارئ فسوف أترجم له ما قاله ميشيل هارت عن الرسول، وسوف أسمح لنفسى بالتعليق كلما رأيت الأمر يوجب التعليق .

لماذا .. الأول ؟

يقرر المؤلف الأمريكى ميشيل هارت فى كتابه عن)المائة الأكثر نفوذا فى التاريخ الإنسانى(، أنه اختار ذوى النفوذ بالمعنى الكامل، ولذلك لم يقنع بالشهرة، أو الوضع الإنسانى، أو ذيوع الذكر، أو الموهبة، أو نبل الشخصية فقط، وإنما كان يبحث عن النفوذ بمعنى: القدرة على تغيير مجرى التاريخ والتأثير فى البشر..

يقول فى مقدمة كتابه : عندما أبحث عن ترتيب الأهمية لشخص ما، فإننى أعطى اعتبارا خاصا للحركة التاريخية التى كانت ثمرة لجهده، وعموما لا تقع حركات التاريخ نتيجة جهد فردى، ومن هنا تبرز أهمية النفوذ الذى يملكه شخص ما، ويستطيع من خلاله أن يقنع الآلاف أو الملايين بإحداث تغيير فى الحضارة أو التاريخ.. ولعل المثال المثير على ذلك ترتيبى لمحمد ﷺ، ووضعه فوق عيسى، عليه السلام.. فأنا مقتنع بأن محمداً كان له نفوذ فى تكوين العقيدة الإسلامية، أكثر من نفوذ عيسى فى تكوين العقيدة المسيحية، وليس معنى هذا أننى أفضل محمداً على عيسى ..

ويقول المؤلف فى بداية فصله الأول وعنوانه: (محمد ٥٧٠ - ٦٣٢) إن اختيارى لمحمد ليكون الأول بين ذوى النفوذ المؤثرين فى العالم قد يدهش بعض القراء، ويصير مثار تساؤلات من البقية، ولكنه هو الوحيد فى التاريخ الذى كان امتيازه متكافئا على المستوى الدينى والدنيوى .. وبأصول متواضعة أسس محمد ديانة من ديانات العالم العظيمة، وأصبح زعيما سياسيا، ورغم مرور أكثر من ١٤ قرناً على وفاته، لا يزال نفوذه الدينى والسياسى عميقاً ومستمراً ..

ومعظم شخصيات هذا الكتاب (يقصد بقية الـ ٩٩)، كانت عندهم فرصة الميلاد والنشوء فى مراكز للحضارة الإنسانية، ولكن محمداً ولد سنة ٥٧٠ فى مدينة مكة التى تقع فى الجزيرة العربية، وكانت الجزيرة العربية يومئذ منطقة متخلفة من مناطق العالم، تبعد كل البعد عن مراكز التجارة والفن والتعليم، أصابه اليتم فى السادسة، وتزوج فى الخامسة والعشرين من أرملة ثرية، واقترب من عامه الأربعين، وكان العرب فى هذا الوقت وثنيين، يؤمنون بآلهة متعددة، وفى سن الأربعين آمن محمد بأن الله الواحد الذى يحكم الكون يُوحِى إليه، وقد اختاره لينشر الإيمان الحقيقى..

وعلى امتداد ثلاث سنوات دعا محمد أصدقاءه المخلصين سراً إلى الإسلام، وفى حوالى سنة ٦١٣ بدأ دعوته علانية، واعتبرت سلطات مكة أن وجوده يمثل خطراً عليها، ولأسباب تتعلق بالأمن خرج من مكة إلى المدينة (وهى مدينة تبعد ٢٠٠ ميل شمالى مكة)، وهناك صار له مركز سياسى مرموق .. وهذا الخروج الذى يسمونه (الهجرة)، كان نقطة تحول فى حياة الرسول وحياة الدعوة .

حروب الإسلام

يقول ميشيل هارت فى فصله الأول عن (محمد) : كانت الهجرة .. نقطة تحول فى حياة الرسول، فقد كان أتباعه قلائل فى مكة، وزاد أتباعه فى المدينة وصار له نفوذ الحاكم المطلق الفاضل، وخلال السنوات التالية، وفى نفس الوقت الذى زاد فيه أتباع الدين الجديد، جرت عدة معارك بين المدينة ومكة، وانتهت هذه الحروب سنة ٦٣٠ بانتصار محمد وعودته إلى مكة فاتحا، وقد بقيت سنتان ونصف فى حياته بعد ذلك، وشهدت هذه الفترة دخولا سريعا للقبائل العربية فى الدين الجديد، وعندما مات محمد سنة ٦٣٢ ، كان هو الحاكم المؤثر فى الجزيرة العربية كلها.

والمعروف عن القبائل العربية شهرتهم كمحاربين أشداء، ولكن عددهم كان قليلاً، وكانوا مطعونين بالانقسام ممزقين من الحروب الداخلية، ولم تكن لديهم أية إمكانية للتصدى لجيوش الممالك الزراعية المستقرة فى الشمال .. ولكنهم بعد اتحادهم تحت راية محمد، للمرة الأولى فى التاريخ، وبسبب توحدهم فى الإيمان بالله الواحد .. بدأت الجيوش العربية تشق طريقها فى سلسلة من الغزوات التى تثير الدهشة بشكل لا تثيره أى غزوات أخرى فى التاريخ .

ففى الشمال الشرقى تستقر إمبراطورية الفرس، وفى الشمال الغربى ترقد الدولة البيزنطية أو الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ولم يكن يدور بخاطر أحد أن العرب يمكن أن يواجهوا أيا من هاتين الإمبراطوريتين، ولكن الذى حدث أن الجيوش العربية بدأت غزو هاتين الدولتين، وبعد فتح فلسطين وسوريا فتحت مصر سنة ٦٤٢ ، وسُحِقَت الجيوش الفارسية فى معركة القادسية سنة٦٣٧ ونهاوند سنة ٦٤٢.. وهذه الحروب الجبارة التى تمت تحت زعامة أصدقاء محمد وخليفته عمر بن الخطاب لم تشكل نهاية التقدم العربى، ففى سنة ٧١١ اجتاحت الجيوش العربية شمال إفريقيا ووصلت إلى المحيط الأطلسى، ثم استدارت شمالا ، وعبرت جبل طارق وهددت مملكة إسبانيا ..

وبدا واضحا أن العرب يمكن أن يكتسحوا أوروبا المسيحية، ثم حدث سنة ٧٣٢ فى معركة تور أن أوقف تقدم الجيش العربى فى فرنسا ، وهزم من الفرنجة، كما دخل الساحل الشمالى لإفريقيا فى الإسلام، ومن المدهش - ورغم كل شىء - نجحت الجيوش العربية بإلهام من كلمات الرسول، فى نحت إمبراطورية تمتد من الهند إلى المحيط الأطلسى، وهى أضخم إمبراطورية شهدها

التاريخ الإنسانى .

ومع كل بقعة أرض احتلتها الجيوش العربية، كان الدين الجديد يكسب اتباعا جددا من البشر ..

ما الذى بقى حتى اليوم من هذه الإمبراطورية ؟

هذا هو السؤال الذى يطرحه الكاتب الأمريكى .

الدليل على نفوذه

يتساءل الكاتب الأمريكى ميشيل هارت عن غزوات الإسلام للدول المسيحية أو الوثنية، هل بقيت على إسلامها بعد رحيل الجيوش ومرور القرون أم لا ؟

ويكتشف من سياق الإجابة على سؤاله سر عظمة الرسول أو سر نفوذه، لقد بقيت حضارتان من أقدم حضارات العالم تحت مظلة الإسلام .. هما مصر الإسلام فلم يصبغ هذه الدول بلون العقيدة الواحدة، وإنما صبغها بالصبغة العربية أيضا، ودخل الملايين من أهل الحضارات القديمة فى ديانة العرب، ولما كان عدد المسلمين يتساوى مع عدد المسيحيين فى العالم تقريباً، فمن الغريب أن يعطى نبى الإسلام محمد رتبة أعلى من رتبة عيسى ..

يتساءل ميشيل هارت هذا التساؤل فى كتابه، ويسوق سببين لاختياره :

السبب الأول أن الدور الذى لعبه محمد فى تطور العقيدة الإسلامية أضخم - فى رأيه - من الدور الذى لعبه عيسى فى تطور العقيدة المسيحية.. فعلى حين انفرد رسول الإسلام بتطوير الإسلام وحده، وضع عيسى أسس القواعد الأخلاقية المسيحية، وقام القديس بولس بتطوير العقيدة المسيحية وكتابة الإنجيل، وعلى المستوى العقائدى البحت يفترض الكاتب الأمريكى أن محمداً وعيسى يتساويان فى النفوذ الدينى، ولكن رسول الإسلام بعكس عيسى كان زعيما دنيوياً إلى جوار كونه زعيما دينيا، وبوصفه المحرك الأول لغزوات الإسلام يمكن القول إنه أكثر الزعماء السياسيين نفوذا فى العالم .

وهناك أحداث تاريخية كان لابد أن تقع حتى لو لم يوجد الزعيم الذى وجهها، مثال ذلك مستعمرات أمريكا الجنوبية، كان لا بد أن تحصل على استقلالها من إسبانيا حتى لو لم يعش سيمون بولفار .. ولكن هذا المنطق لا يمكن تطبيقه على غزوات الإسلام، فلم يكن ممكنا أن تقوم هذه الغزوات بغير محمد ..

والغزوات الوحيدة التى يمكن مقارنتها بحروب الإسلام هى غزوات المغول فى القرن الثالث عشر، لقد نشأت هذه الغزوات بقيادة، وامتدت أكثر من امتداد الغزو العربى، ولكنها لم تصمد للزمن كحروب الإسلام، وإنما انحسرت بعد سنوات وعادت مملكة المغول إلى التقلص، وتختلف الغزوات العربية فى تأثيرها تماما، فليست هناك أرض قد تأثرت بقيم القرآن كالأرض العربية، وتتحد الدول العربية - رغم كل خلافاتها وتناقضاتها الظاهرة - فى الإيمان بالقرآن، وفى وجود لغة عربية واحدة تربط بينها، كما تتحد فى التاريخ والثقافة، ورغم مرور ١٣ قرناً من الزمان أو

أكثر، لا تزال حروب محمد تؤثر فى العالم، وبقاء الدول العربية ومواقفها المتقاربة دليل على ذلك.

رسول الله

يرى المؤلف الأمريكى ميشيل هارت أن محمد بن عبد الله الرسول العربى الذى ولد فى مكة، كان أعظم البشر نفوذا وتأثيراً فى التاريخ الإنسانى، وهو يسوق أسبابه الوجيهة التى تضع اختياره على رأس القائمة البشرية.. ويعرف المسلمون عن رسولهم أسباباً أخرى تجعله يحتل هذا المقام .. يحدثنا القرآن الكريم أن هناك خمسة من الرسل هم أولو العزم الكبار وهؤلاء هم الذين أخذ الله منهم ميثاقاً غليظا، وهم بترتيب بعثهم إلى الناس سادتنا: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد .. عليهم الصلاة والسلام .

أما نوح فهو صاحب الطوفان، وإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله وعيسى كلمة الله ومحمد هو رحمة الله .

كانت معجزة إبراهيم تحول النار حين ألقى فيها إلى برد وسلام، وكانت معجزات موسى هى شق البحر والعصا واليد، وكانت معجزات عيسى هى إحياء الموتى وشفاء ما لا يشفى من الأمراض بإذن الله .. ونلاحظ أن هذه المعجزات كلها مادية ومؤقتة بزمان محدد، هو زمن النبى الذى وقعت فى عصره، ولهذا اختفت هذه المعجزات بموت من مات من هؤلاء الأنبياء أو برفعهم إلى الله .

أما معجزة الرسول فلم تزل فى أيدينا كل يوم.. القرآن الكريم.. ونلاحظ أن معجزة الرسول كانت كتابا .. كما نرصد أن أول كلمة نزلت من القرآن كانت اقرأ.. وهذا كله يعنى أن معجزة النبى ﷺ كانت تتصل بالفكر .. كانت افتتاحاً لعصر النضج العقلى وإيذاناً ببدايته. ولهذا الأمر دلالته .

وقد لاحظ المؤلف الأمريكى ميشيل هارت اختلاف غزوات المغول، وأدرك أن سيوف المغول كانت تبرق فى الظلام لمجرد الغزو، أما سيوف المسلمين فكانت كمشرط الجراح تبرق بفكرة الشفاء والخلاص من الألم.. وهذا هو السر فى ذهاب فتوح المغول وبقاء الفتوحات الإسلامية .. ورغم موت الرسول ﷺ منذ١٤ قرناً فإن تأثيره لا يزال حيا وموجوداً ويمارس نفوذه..

وعلى المستوى الشكلى البحت لا يزال بعض المسلمين يطلقون لحاهم ويقصون

شواربهم اقتداء برسول الله فى مظهره .

وعلى المستوى الموضوعى يصلى جميع المسلمين كما علمهم الرسول، ويتعبدون كما أمرهم، ويحاولون التصرف كما كان يتصرف، مدركين أنه هو المثل الأعلى للإنسان، عارفين أنه شمس الكمالات البشرية.

والحقيقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سيد البشر فى الكمال الإنسانى لا ينازعه منازع.. وهناك أسباب كثيرة لذلك..

سيد العظماء

يحلو لكثير من الناس أن يسأل :

هل كان رسول الله سيد البشر فى الكمال الإنسانى، أم أنه صار سيد البشر حين اختاره الله لنشر الإسلام.؟ والسؤال يحاول أن يعرف هل كان فضل الرسول سببا لاختياره، أم نتيجة لهذا الاختيار..؟

الجواب الصحيح فى تصورى أن فضل الرسول وسيادته على البشر كانا سببا ونتيجة معا.. وفى الرقى والتركيب لا تتوقع إجابة ساذجة على سؤال بسيط.

أقرب إلى المنطق أن تجىء الإجابة معقدة .

لو لم يكن رسول الله هو سيد البشر لما اختير لحمل رسالة نهائية ينزل الستار بعدها على الأنبياء ويتوقف وحى السماء للأرض .. والله هو الكمال المطلق بلا تحديد ولا تصور.. فإذا اختار الله سبحانه انصرفت مشيئته إلى الكمال .. والأصل فى الاختيار الإنسانى أنه يبحث فى الرسول عن صفات جوهرية كالأمانة والفضل والقدوة والشرف وذلك لضمان توصيل الرسالة كما هى.. واختيار الله هو الدقة المطلقة ويختلف تماما عن الإنسان الذى يحكم بالظن والتصور ؛ إذ يختار الله تعالى وهو يعلم حقيقة الضمائر ومزاج القلوب ومعادن النفوس .

نفهم من هذا أن جميع أنبياء الله كانوا أشرف الخلق قلبا وقالبا، وكانوا أفضل المعادن البشرية على الأرض ..

وهذا هو الأصل فيهم قبل اختيارهم للرسالة ..

فإذا وقع عليهم اختيار الله عز وجل، أضاءوا بشرف يستمدونه من جلال الله ذاته.. وأضاءوا بشرف مهمتهم الجديدة فى تصحيح فكرة الإنسان عن الخالق ..

وهكذا يزيد قدر النبى - أى نبى - بعد البعثة إلى الناس وتكليفه بالرسالة.. يزيد قدره شرفا ويبدأ الصعود من القمة التى كان فيها إلى قمم أخرى لا نعلم عنها نحن التوابين المذنبين شيئا .

وكل أنبياء الله كانوا قمما شامخة فى الكرامة الإنسانية واحترام الإنسان .. وكان رسول الله ﷺ هو آخر الأبنية الشامخة، ولهذا جاء فضله أعلى فضل يطيقه تركيب الإنسان المدهش .

تأمل عظمة الرسول من أى زاوية تحب.. ابدأ دراسته من أى مستوى تختاره.. لن تجد غير بيت الشعر القائل :

يا سماء ما طاولتها سماء..

ميشيل هارت

ترجمة : أحمد بهجت

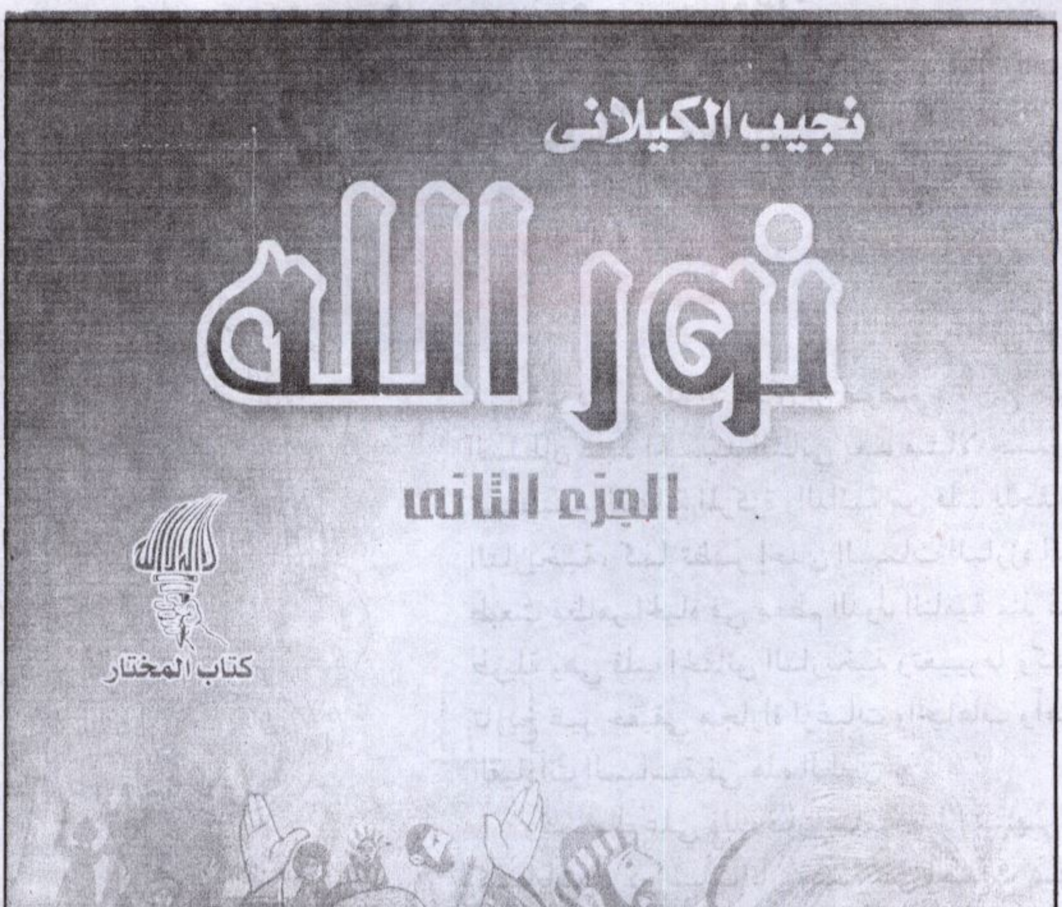

مع الباعة والمكتبات

نور الله - الحزء الثانى

السلطان عبد الحميد الثانى
حياته وأحداث عهده

أورخان محمد على

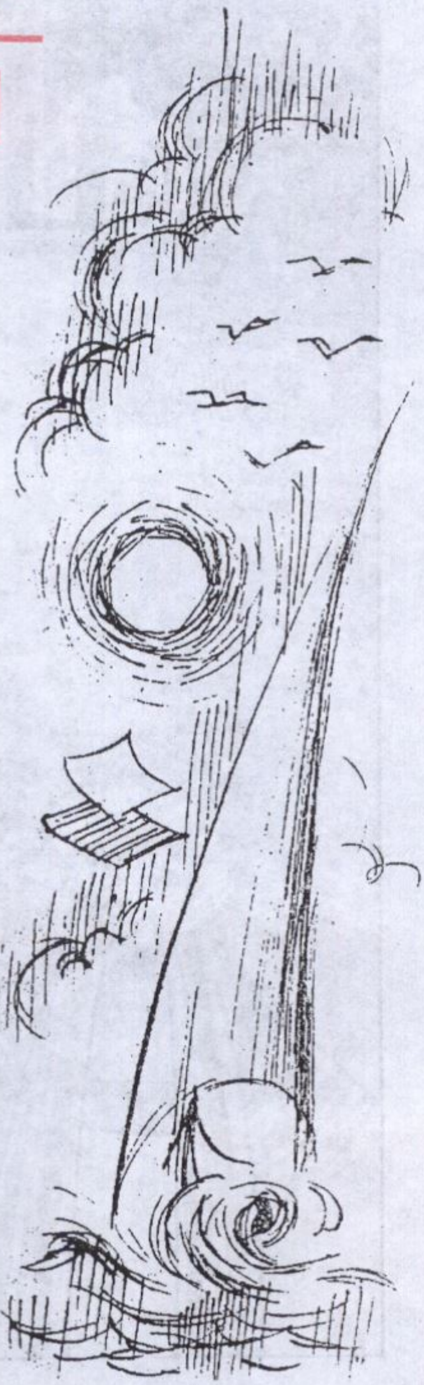

نشر في مجلة التبيان أن موضوع تاريخ حياة السلطان عبد الحميد الثاني يعد مثالاً جيداً لما تستطيعه الدعاية المركزة والدائبة من قلب للحقائق التاريخية، كما تظهر إحدى السمات البارزة التي طبعت مظاهر الحياة في معظم الدول النامية منذ فترة طويلة وهي قلب الحقائق التاريخية وتغييرها وكتابة تاريخ غير حقيقي مجاراة لرغبات واتجاهات وأهواء القيادات السياسية في هذه البلدان .

وكمثال علي ذلك فإن عامة ما اشتهر من كتابات أو دراسات تاريخية عن أحداث عهد السلطان عبد الحميد الثاني، إما أنه التاريخ الرسمي الذي أقرته الفئة العلمانية التي هدمت الخلافة، أو أنه دراسات كتبت بأيدي صليبية أو صهيونية مثل كتاب (عبد الحميد ظل الله في الأرض) للدكتورة الألمانية (آلماوتلن) الذي لامثيل له في كثرة الأخطاء التاريخية، ومثل كتاب الإنجليزي (جون هاسلب) وهو الكتاب الذي عدته الموسوعة البريطانية أحد مصادرها، وهو وإن كان أفضل من الكتاب السابق إلا أنه يحتوي أيضاً علي العديد من الأخطاء التاريخية، ولقد كان لكل من الاتجاهين اليد الطولي في هدم الخلافة وتشتيت أوصال العالم الإسلامي، وبالتالي فإن أي كتابات تأتي من هذين المصدرين

لايمكن الوثوق بها كمعبر عن حقيقة الأحداث أو الشخصيات خلال تلك لفترة .

عبد الحميد هو السلطان العثماني الرابع والثلاثون ولد يوم الأربعاء ١٦ شعبان ١٢٥٨ هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٨٤٢م، وكان في طفولته قليل الكلام يحب العزلة، توفيت والدته وهو في الثامنة من عمره، فاحتضنته زوجة أبيه برستوهانم فكانت له نعم الأم، قضي شبابه في إستامبول، وكان يتقن المبارزة بالسيف والتهديف بالمسدس والسباحة وركوب الخيل، وكان شغوفاً بقراءة التاريخ ويطلب ترجمة مقالات الصحف والجرائد، وتميز في حياته وهو أمير بالبساطة لشديدة والابتعاد عن البذخ والإسراف والتبذير، وحرم علي نفسه أن يستدين قرشاً واحداً من أحد فعصم نفسه من أن يقع في حبائل أصحاب البنوك وأكثرهم من اليهود والروم، وخلافاً لما يروجه أعداؤه من داخل الدولة وخارجها ، يقول المؤرخون إن السلطان عبد الحميد كان مثالاً للعفة والاحترام والوقار، وكان حليماً صبوراً رحيماً، كما كان ذا إرادة حديدية وعقل سليم وعيون مؤثرة ومعبرة .

ولما اصطحبه عمه السلطان عبد العزيز في رحلة إلي فرنسا وانجلترا ومعهما ولي العهد أخو. مراد الذي أصبح السلطان فيما بعد، فقد تميز سلوك عبد الحميد بالوقار والسكينة والهدوء علي عكس مراد ولي العهد، فلم يقرب الخمر وقام في باريس بمهمته خير قيام مستعيناً بذكائه ومعلوماته الواسعة، وكان ماهراً في إخفاء أحاسيسه ويهتم بكل شيء ويأخذ المعلومات حول كل شيء .

ولم تدم فرحة الإنجليز بوصول مراد إلي الحكم طويلاً، إذ أصبح عبد الحميد السلطان بعد خلع مراد من الحكم بعد أن أصيب بمرض الجنون واعتلت صحته، وكان أول ما قام به هو تقليل المصاريف الباهظة للقصر، وجلس يأكل الطعام مع أفراد عائلته وأسرته خلافاً لعادة السلاطين من قبله، وأمر بأن يجلس الوزراء معه حول منضدة واحدة للتباحث معهم حول أمور الدولة خلافاً للبروتوكول السابق الذي كان يقضي بضرورة وقوفهم أمامه معقودة أيديهم أمامه .

وفي الفترة الأولي من حكمه ظل في مرحلة ترقب وترصد ومراقبة الأمور وجمع الأنصار وإحاطة نفسه بالرجال المخلصين، ولم تكن تلك مرحلة ظهور أو توجيه أو سيطرة، فقادة الانقلاب يسهل عليهم خلعه كما فعلوا مع من سبقوه، وعاصمة الخلافة تعج بجواسيس المستعمرين، وقام ببعض التعيينات التي أظهرت أنه لا يرضي أن يكون أسيراً ولعبة بيد رجال الانقلاب، ولم يمانع الخليفة أن يأخذ دروساً في المال

والاقتصاد علي يد أمهر الاقتصاديين وأكثرهم خبرة في شئون السياسة المالية وهو المصرفي اليهودي جورج ظريفي، ولقد جهد السلطان جهداً كبيراً لإحياء عظمة الخلافة الإسلامية واسترداد ماكان لها من الجلال والهيبة والخطورة.

تسلم السلطان عبد الحميد إمبراطورية واسعة علي حافة التفكك، تتربص بها جميع الدول الأوروبية الكبري، ولم تنحصر متاعبها في أعدائها الخارجيين، بل إن دولة واسعة مثلها تعيش فيها قوميات وأديان ومذاهب ولغات متعددة لابد أن تجد صعوبة كبيرة في الإدارة، وكانت سياسته الخارجية تقوم علي تجنب الدخول في الحروب، والسعي إلي الاستغلال الماهر الذكي للتناقضات والخلافات الموجودة بين الدول الأوروبية وتضارب مصالحها، فقد كان يمسك ميزاناً دقيقاً في سياسته الخارجية، حتى قال أحد الزعماء البريطانيين عنه: (لو كان السلطان عبد الحميد موجوداً في السلطة لما اندلعت الحرب العالمية الأولي).

أثناء إعداد الدستور كان من أغرب ما حاوله مدحت باشا (زعيم الانقلاب) هو محاولة إشراك الدول الأوروبية في مسالة الدستور وجعلها طرفاً ضامناً ضد السلطان عبد الحميد، والأغرب أن الدول الأوروبية رفضت قائلة إن مسالة القانون الأساسي مسألة داخلية لايمكن أن تتدخل فيها الحكومات الأوروبية، وتم إعلان الدستور في ٦ من ذي الحجة ١٢٩٣هـ الموافق ٢٣ كانون الأول ١٨٧٦م.

ولقد أتي السلطان عبد الحميد إلي الحكم في فترة مضطربة جداً من تاريخ الدولة العثمانية، فالأوضاع كانت تغلي في البلقان، وحينما تدخلت جيوش الخلافة لقمع هذه الثورات تدخلت بعض الدول الأوروبية وروسيا، وفي النهاية حقق الجيش العثماني انتصارات وصلت أخبارها إلي العاصمة إستامبول يوم ٣١ أغسطس ١٨٧٦م وهو يوم تولي السلطان عبد الحميد، وقد حاول السلطان عبد الحميد أن يهدئ من هذه الحرب والبحث عن وسيلة سلمية لحل هذه المشكلة الشائكة، حتى كان مؤتمر إستامبول الذي أعطي هذه البلدان العديد من المكاسب اعترض الباب العالي علي بعضها، وفي هذا الوقت استطاعت زمرة من أنصار مدحت باشا تهييج أهالي إستامبول ليكونوا إلي جانبهم ضد السلطان عبد الحميد، وانشغل الناس بالسياسة أكر من انشغالهم بأعمالهم.

ولما كان مدحت باشا السبب الرئيسي في الكارثة الكبيرة التي جر إليها الدولة العثمانية وهي الحرب الروسية التركية إضافة إلي إصراره علي جعل السلطان

ألعوبة بيديه، فقد نفاه السلطان عبد الحميد إلي إيطاليا في يوم الاثنين ٢١ محرم ١٢٩٤هـ (٥ فبراير ١٨٧٧م)، وفي أعقاب ذلك كانت لعبة كبيرة باسم الديمقراطية وباسم الحرية تجري لدفع الدولة العثمانية إلي أتون الحرب، إذ إن العديد من زعماء مجلس الأعيان وهم من غير المسلمين وعامتهم كانوا زعماء في الجمعيات المسلحة السرية النشطة ضد الدولة العثمانية، هؤلاء قاموا بحماسة شديدة بتشجيع السلطان عبد الحميد علي اتخاذ قرار الحرب ضد روسيا، تلك الحرب التي انتهت بعد تسعة أشهر وسبعة أيام، والتي كانت من نتائجها أكبر الهزات التي تعرضت لها الدولة العثمانية.

حاولت الأيادي الخفية بعد ذلك إثارة البلبلة داخل الدولة العثمانية، وكان من تلك المحاولات تدبير محاولة لتهريب السلطان مراد من القصر إلي خارج البلاد، ومن ثم يتم الإعلان أن إقصاءه عن العرش كان عملاً مغايراً للشريعة الإسلامية، وهذه المحاولة تظهر بوضوح إلي أي مدي كانت الأصابع الأجنبية تلعب بأمور الدولة العثمانية، إذ أصبحت بكل جرأة تدبر الانقلابات وتحاول تبديل السلاطين، ولكن المؤامرة فشلت.

وبيت القصيد وموقف المواقف كلها كان موقف السلطان عبد الحميد تجاه الحركة الصهيونية، إذ إنه في الوقت الذي طُرد فيه اليهود من كثير من البلدان الأوروبية التي سكنوا فيها، بسبب أنهم لم يتعايشوا ويتآلفوا وينسجموا مع شعوبها، فكرهتهم هذه الشعوب ونبذتهم وأساءت معاملتهم، بل أكرهتهم أحياناً علي التنصر، إلا أن الدولة العثمانية جرياً علي عادة التسامح الإسلامي آوتهم واحتضنتهم، ولم يجدوا أي مضايقات في الدولة العثمانية، وانصرفوا إلي مزاولة التجارة والصيرفة والصياغة والمناصب العامة في الدولة، حتى وصل بعضهم إلي مناصب رفيعة في الدولة العثمانية.

بعد ظهور الصهيونية كحركة سياسية ودينية، وبعد مؤتمر بال في سويسرا سنة ١٨٩٧م نشطت الدعوة إلي جمع اليهود وتهجيرهم إلي فلسطين، وسعت شخصيات يهودية بارزة لدي السلطان عبد الحميد لعله يوافق علي مقترحاتهم لتشكيل نواة صغيرة في فلسطين، فرُفض الطلب من قبل السلطان الذي كان يتوقع المرامي الحقيقية لليهود قائلاً (إن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية جهة من المملكة إلا في فلسطين، لأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين، ولكنها ترفض مساعدة اليهود في إقامة مملكة لهم في فلسطين أساسها الدين)، والحقيقة التي أثبتها التاريخ أن السلطان عبد الحميد شعر

بالخطر قبل الجميع حتى قبل مؤتمر بال، وقبل ظهور كتاب هرتزل (الدولة اليهودية)، لذا فقد أصدر في عام ١٨٩١م مجموعة من الفرمانات تنظم وجود اليهود المطرودين من كل دول أوروبا علي أنهم رعايا عثمانيين وليس بغير هذه الصفة، وخص سفرهم إلي أرض فلسطين بضوابط معينة.

لقد كانت شعارات التنمية مثل شعار (تعمير تركيا وتجديد شبابها) وشعار (تسوية أوضاع تركيا المالية) إضافة إلي شعارات سياسية أخري من قبيل شعار (تسوية المسألة الأرمنية) وشعار (إعادة جزيرة قبرص من انجلترا وضمها إلي الدولة العثمانية)، إلي جانب غيرها من شعارات العلم والتنوير مثل (إقامة جامعة لتعليم شباب الخلافة لتوفير التدريب العلمي بعيداً عن مخاطر الغوايات السياسية) كانت كلها من أساليب الإغراء التي استخدمها زعماء اليهود طمعاً في الحصول علي موافقة السلطان عبد الحميد علي إنشاء وطن لليهود في فلسطين، غير أن كل تلك المحاولات لم تنفع في زحزحة السلطان عن موقفه، فقد كان السلطان يري القدس مقدسة تماماً مثل مكة المكرمة..

في الوقت الذي كانت تجري فيه المفاوضات مع السلطان وحاشيته حول فلسطين لتصبح أرضاً لتجميع اليهود، كانت الماسونية العالمية تسعي من جانب آخر وبطريقة أخرى، حيث تم برعايتها تشكيل جمعية الاتحاد والترقي بغرض عزل السلطان عبد الحميد، ولما انكشف أمر الجمعية في استانبول جرت محاكمة أعضائها عسكرياً، وصدرت ضدهم أحكاماً بالسجن، ولم يلبث السلطان أن عفا عنهم، واستخدم معهم وسائل أخرى تتلخص في إسداء النصح لهم أو استمالتهم بالمناصب أو المنح أو نفيهم وتحديد إقامتهم مع تحديد مخصصات لهم أكبر من رواتبهم الأصلية، ولكنها لم تكن وسائل فعالة، فقد فقس بيض الأفاعي تحت جناحي رحمته وكبرت ونمت ثم خرجت إلي الميادين والساحات.

ويري المؤرخون أن هذا هو الذنب الوحيد للسلطان عبد الحميد الذي لايمكن غفرانه أبداً، فبدلاً من الشفقة علي هؤلاء الذين كانوا خدماً وعبيداً للماسونية كان عليه أن يشفق علي أمته وتاريخه، ولكنها طبيعته وقدره، أن تكون سياسته في معاملة خصومه عاملاً في التعجيل بسقوطه.

أنور الجندى مؤرخ الفكر والثقافة الإسلامية

بقلم: أبو الحسن الجمال

فى يوم الإثنين ١٣ذى القعدة سنة ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٨يناير ٢٠٠٢م انتقل إلى رحمة الله تعالى المفكر الإسلامي الكبير أنور الجندي، بعد رحلة طويلة قضاها فى الدفاع عن الإسلام، والوقوف هو وجنوده المخلصين فى وجه جحافل المشككين والمتربصين بتاريخنا العطر المجيد، رحل بعد أن عمل بالصحافة قرابة ٧٥ عاماً ، ولم يشعر به أحد، وعتم على خبر رحيله الإعلام، ولم تذكره صحيفة أو مجلة أو قناة تليفزيونية ، وعذر هؤلاء أنهم يهادنون نوادي "الروتاري"، و"الليونيز"، وهؤلاء هم خلفاء الماسونية العالمية التى تصب فى المنبع الرئيسى لنهر الصهيونية، وكان كاتبنا من ألد الأعداء لهذه الجمعيات المشبوهة وعلى علم بنشاطها الأساسي والحقيقي، ويعلم أعضاءها، ومن يرعاهم من قمة الجهاز السلطوي فى الوطن العربي، هؤلاء أصابتهم الفرحة لاختفاء الأعلام المخلصين، أمثال : أنور الجندي، ومن قبله الشيخ الغزالي، والشعراوى، ومحمد جلال كشك، ومحمود محمد شاكر، ومحمد محمد حسين، وغيرهم ممن خدموا الفكر الإسلامي فى مواجهة حملات التشكيك والتغريب والتبشير وكافة صنوف الإرهاب الفكري ضد الإسلام.

أنور الجندى

والقصة طويلة ومتشعبة ، فمنذ أن وطئت أقدام الاستعمار الأجنبي أرض العرب المسلمين فى العصر الحديث منذ حملة بونابرت التى استهدفت بالدرجة

الأولى وأد بوادر اليقظة الإسلامية التى كانت قائمة فى الشرق الإسلامي وأعلامها الزبيدي، والجبرتي، وابن عبدالوهاب وغيرهم، لقد استهدف الاستعمار بالدرجة الأولى زعزعة الفكر والثقافة لدى الشعوب المحتلة حتى تذوب هويتها وقوميتها وتصبح تابعة له، مستعيناً بجانب الجنود والمعدات، بالعلماء والمستشرقين الذين كانوا معظمهم يعمل لصالحه، ناجحين فى كسب ود بعض الانتهازين والشعوبيين من العرب إلى صفوفهم، فبدءوا يرمون العرب بكل نقيصة، وينالون من الحضارة الإسلامية ومظاهرها، وفى هذا الوقت شب نفر من أمناء الأمة لمكافحة هذه الأفكار بالحجة والبرهان ونشر التراث الفكري والحضاري للأمة، وعمل دراسات وأبحاث لبيان عظمة الإسلام وحضارته، ومن هؤلاء أنور الجندي موضوعنا فى السطور التالية:

والأستاذ أنور الجندي من أشهر مفكري ومؤرخي الفكر الإسلامي لما تميز به من ثقافة موسوعية، وإطلاع غزير فى شتى مناحي المعارف فى الأدب وفنونه، وفى الفكر الإسلامي وأصالته ومنابعه .

مولده ونشأته :

ولد أنور الجندي عام ١٩١٧، بمدينة ديروط التابعة لمركز أسيوط بصعيد مصر، ويمتد نسبه لعائلة عريقة عُرفت بالعلم، فجده لوالدته كان قاضياً شرعياً يشتغل بتحقيق التراث، وكان والده مثقفاً يهتم بالثقافة الإسلامية، ر-ن أنور الذي تسمى باسم "أنور باشا" القائد التركي الذي اشترك في حرب فلسطين، والذي كان ذائع الشهرة حينئذ قد حفظ القرآن الكريم كاملاً في كتَّاب كتَّاب القرية في سن مبكرة، ثم ألحقه والده بوظيفة فى بنك مصر بعد أن أنهى دراسة التجارة بالمرحلة التعليمية المتوسطة، ثم واصل دراسته أثناء عمله، حيث التحق بالجامعة الأمريكية في الفترة المسائية، ودرس الاقتصاد "إدارة" وإدارة الأعمال، إلى أن تخرج في الجامعة الأمريكية بعد أن أجاد اللغة الإنجليزية التي سعى لدراستها حتى يطلع على شبهات الغربيين التي تطعن في الإسلام ... (١)

مشواره في الكتابة :

بدأ أنور الجندي الكتابة في مرحلة مبكرة حيث نشر في مجلة أبوللو الأدبية الرفيعة التي كان يحررها الدكتور أحمد زكي أبو شادي عام ١٩٣٣م، وكانت قد أعلنت عن مسابقة لإعداد عدد خاص عن شاعر النيل حافظ إبراهيم، فكتب مقالة رصينة تقدم بها وأجيزت للنشر، وكان يقول : "ما زلت أفخر بأني كتبت في أبوللو وأنا في هذه السن ١٧ عاماً .. وقد فتح لي هذا باب النشر في أشهر الجرائد والمجلات آنئذ مثل البلاغ، وكوكب الشرق، والرسالة وغيرها من المجلات والصحف" ... (٢)

وتُشَكِّل ١٩٤٠م علامة فارقة في حياة أنور الجندي، وذلك عندما قرأ ملخصاً عن كتاب "وجهة الإسلام" لمجموعة من المستشرقين، ولفت نظره إلى التحدي للإسلام ومؤامرة التغريب، وهو يصف ذلك بقوله : "وبدأت أقف في الصف، قلمي عدتي وسلاحي من أجل مقاومة النفوذ الفكري الأجنبي والغزو الثقافي، غير أني لم أتبين الطريق فوراً، وكان عليّ أن أخوض في بحر لجي ثلاثين عاماً .. كانت وجهتي الأدب، ولكني كنت لا أنسى ذلك الشيء الخفي الذي يتحرك في الأعماق .. هذه الدعوة التغريبية في مدها وجزرها، في تحولها وتطورها" ... (٣)

وهكذا بدأ أنور الجندي بميدان الأدب الذي بلغ اختراقه حداً كبيراً، حيث كان أكثر الميادين غزواً في حينها وأعلاها صوتاً وأوسعها انتشاراً، فواجه قمم هذا الميدان، مثل : طه حسين العقاد، أحمد لطفي السيد، سلامة موسى، و"جرجي زيدان" "توفيق الحكيم"، وغيرهم، وأقام الموازين العادلة لمحاكمة هؤلاء في ميزان الإسلام وصحة الفكرة الإسلامية، فأخرج عشرات الكتب من العيار الفكري الثقيل مثل : "أضواء على الأدب العربي المعاصر"، و"الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع والحرية"، و"أخطاء المنهج الغربي الوافد"، و"إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام"، خص منها "طه حسين" وحده بكتابين كبيرين، هما : "طه حسين وحياته في ميزان الإسلام"، و"محاكمة فكر طه حسين"، ذلك لأنه كان يرى أن طه حسين" هو قمة أطروحة التغريب، وأقوى معاقلها، ولذلك كان توجيه ضربة قوية إليه هو قمة الأعمال المحررة للفكر الإسلامي من التبعية، وخلال ذلك كان يتحرى الدقة والإنصاف، فقد جاءت كتاباته الرصينة منصفة في الوقت نفسه لأصحاب الفكرة الإسلامية الصحيحة من أمثال : مصطفى صادق الرافعي"، و"علي أحمد باكثير"، و"السحار"، و"نجيب الكيلاني"، و"محمود تيمور"، وغيرهم من أصحاب الفكر المعتدل والأدب المتلزم ... (٤)

إسهاماته :

كان أنور الجندي باحثاً دءوبا، وذا همة عالية، و يقول عن نفسه مبيناً دأبه في البحث والاطلاع : "قرأت بطاقات دار الكتب، وهي تربو على مليوني بطاقة، وأحصيت في كراريس بعض أسمائها، راجعت فهارس المجلات الكبرى : "الهلال"، و"المقتطف"، و"المشرق"، و"المنار"، و"الرسالة"، و"الثقافة"، وأحصيت منها بعض رءوس موضوعات، راجعت جريدة "الأهرام" على مدى عشرين عاماً، وراجعت المقطم المؤيد "صحيفة اللواء اللبنانية" و"اللواء" "البلاغ"، "أم كلثوم (مطربة)" و"كوكب أشرق"، و"الجهاد"، وغيرها من الصحف، وعشرات

من المجـلات العــديدة، والدوريات التي عرفتها في بلادنا في خلال هذا القرن، كل ذلك من أجل تقـدير مـوقف القـدرة على التـعرف على (مـوضوع) معين في وقت ما".

وقـد لقي الجندي في طريق جـهـاده بالكلمة الكثير من العناء والعنت، فـقد تعرض للظلم والأذى، فضلاً عن أنه اعتقل لمدة عام سنة ١٩٥١م

وقـد أخـذ على نفســه وضع منهج إسلامي متكامل لمقدمات العلوم والمناهج، يكون زاداً لأبناء الحـركـة الإسـلامـيـة، ونبـراسـاً لطلاب العلم والأمناء في كل مكان، فأخرج هذا المنهج في موسوعة من ١٠ أجزاء ضخمة، يتناول فيـه بالبحث الجذور الأساسيـة للفكر الإسلامي التي بناها القرآن الكريم والسنة المطهرة، وما واجهه من محاولات ترجمة الفكر اليوناني الفارسي والهندي، وكيف انبعثت حركة اليقظة الإسلامية في العصر الحديث من قلب العـالم الإسلامي نفسـه وعلى زاد وعطاء من الإسلام - فـقاومت حركات الاحتلال والاستغلال والتغريب والتخريب والغزو الفكري والثقافي .. ويذكر أن هذه الموسوعة الضخمة تعجز الآن عشرات المجامع ومئات المؤسسات والهيئات أن تأتي بمثلها، أو بقريب منها، وكان للقائه بالشيخ حسن البنا" أثر في إخراج تلك الموسوعة.

كذلك كانت من القضايا الرئيسية التي شغلت حيزاً كبيراً من فكره، هي قضية تحكيم الشريعة الإسلامية، حيث كان يقول : "أنا محام في قضية الحكم بكتاب الله، ما زلت موكلاً فيها منذ بضع وأربعين سنة".

ومع كل هذا الجهد والنبوغ الذي جعله يتبوأ مكانة مرموقة بين كبار المفكرين والمدافعين عن الإسلام، إلا أنه كان زاهداً في الشهرة والأضواء، وعاش رجلاً بسيطاً لا يعرف الثراء ولا الترف في المسكن أو الملابس وغير ذلك من أمور الحياة، وكان مع ذلك عفيفاً لا يقبل شيئاً على محاضراته وأفكاره، بل حتى الجوائز التقديرية كان يرفضها ويأباها، وكان عندما يُسْألُ عن ذلك يقول : "أنا أعمل للحصول على الجائزة من الله ملك الملوك"، ولهذا كان زاهداً في الأضواء وفي الظهور، ولم يكن يحبذ اللقاءات التلفزيونية أو الفضائية، وكان كل همه التأليف، وكان يدعو ربه دائماً بأن يعطيه الوقت الذي يمكنه من كتابة ما يريد، ولذلك فإن مشاركاته في الفضائيات كانت قليلة جداً تكاد تقتصر على بعض التسجيلات في أبو ظبي، والرياض.

تواضعه:

كان أنور الجندي يقيم في بيته الكائن بمنطقة الطالبية أحد الأحياء الشعبية الفقيرة في القاهرة، كان يسكن فى بيت شديد التواضع في ذلك الحي الشعبي، وهو

بيت قديم متهالك، لا تحس فيه أية مسحة من الترف، كان يحرص كل صباح على أن يعد بنفسه "ساندويتشات" حفيدته ثم يصحبها للمدرسة القريبة، ثم يشتري لأسرتها احتياجاتها اليومية من الأسواق والبقالات المجاورة، ثم يعود إلى مكتبه ليواصل رحلة عطائه، وأعجب من ذلك ما حكته ابنته الوحيدة وبعض جيرانه عن أن الرجل كان يخرج لصلاة الفجر، وأحيانا كان يجد خط الماء وقد تعطل وانقطعت المياه عن المنطقة، فيحمل معه أوعية للماء "جراكن"، ويملؤها ثم يضعها أمام باب كل جار، ويقول لابنته عندما تعاتبه: "إن الله سائلني عن هؤلاء"، وكان لا يمتلك سيارة و يتزاحم في الحافلات العمومية، بينما هناك صبية صغار من المحسوبين على الصحافة والقلم يمرحون في شوارع القاهرة بأحدث السيارات، ولم يكن لهم كتاب يدعم مكانتهم، وأن بعضهم يعمل لمصالحه الشخصية ولا يحترم شرف المهنة.

كان منقطعا للعلم والعمل والزهد والتقرب إلى الله، تقول ابنته إنها كانت عندما تقع عينها على صحيفة أو مجلة تتحدث عنه وتثني عليه فتهرع إليه بالجريدة مستبشرة، تجده يشيح عنها ويقول: "دعك من هذه "القشور" التي تضيع الوقت والبركة"، كان الرجل فقيراً لا عن عجز وإنما عن زهد وقناعة، حتى أنه كان يوزع الجوائز التي يحصل عليها من بعض أعماله على فقراء منطقته، رغم أنه منهم..

وأنور الجندي بميزان الفكر والقلم أحد أهم أعلام الفكر العربي في القرن العشرين، وإن كانت الصحافة، خاصة المؤدلجة، المهيمنة على زوايا الفكر والثقافة ومنابرها في العالم العربي حاولت قبره في حياته كما تجاهلته بعد رحيله.

منذ أكثر من خمسة وستين عاماً عرفت الصحافة العربية قلم أنور الجندي الأديب والمفكر والكاتب، وعلى مدار هذه السنين الطويلة تواصل عطاء الرجل، ومثل سجلا رائعا لمعارك الفكر والأدب في القرن العشرين، كما كان يمثل ثورة في الوعي العربي تجاه مرحلة النهضة وروادها وأفكارها وتياراتها، الأمر الذي أهاج عليه هجمات المتغربين لأنه كشف حقائق كانوا يظنونها لا تكشف.

وأنور الجندي الذي حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٠، مثل في مرحلة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين كتيبة فكرية كاملة العتاد والسلاح في وجه تيارات التغريب، وما زالت كتبه ورسائله التي أخرجها في ذلك الوقت كانت تمثل زاداً متجدداً يحمي عقولنا - نحن أبناء ذلك الجيل - من التيه وتزييف الوعي، وكانت من غزارتها أشبه بمجلة أسبوعية، فانتقل بنا نقلة بعيدة، جعلتنا أكثر جرأة في إعادة النظر تجاه رموز أريد لها أن تكون أوثانا فكرية غير قابلة للنقد أو المراجعة.

ويقول عنه المفكر الإسلامي جمال سلطان : "وبكلمة واحدة فكل مشتغل بالفكر الإسلامي في نصف القرن الأخير في مصر تحديدا هم "عيال" على أنور الجندي" .

كان الأستاذ أنور الجندى عضواً فى العديد من الهيئات العلمية مثل : اتحاد الكتاب، ونقابة الصحفيين، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكان يحضر المؤتمرات الإسلامية منذ أوائل السبعينيات وحتى وفاته، ولمكانته العلمية الفريدة تعرف إلى شخصيات رائدة من شتى بقاع العالم الإسلامي، أمدوه بالعديد من المصادر حول هذه الدول، لذا كان حجة فى معرفة تاريخ العالم الإسلامي وأعلامه فى العصور الأخيرة .

وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٠، وشارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية التي عقدت بعواصم العالم الإسلامي في الرياض، والرباط، والجزائر، ومكة المكرمة، والخرطوم، وجاكرتا، كما حاضر في عدد من الجامعات الإسلامية مثل : جامعة الإمام محمد بن سعود، والمجمع اللغوي بالأردن.

أثرى حياتنا الثقافية والمكتبة العربية بالمئات من الكتب الفريدة فى بابها وقد صنف ما يربو على مائتي كتاب، وأكثر من ثلاثمائة رسالة في مختلف قضايا المعرفة والثقافة الإسلامية في الأدب العربي والفكر الإسلامي وقضايا التغريب والأصالة والدفاع عن هوية الأمة وشخصيتها التاريخية وحضارتها ودينها..

وقد مر التأليف فى حياته العلمية بمرحلتين :

المرحلة الأولى : وهى التى أرخ فيها للأدب العربي الحديث وأنجز فيها موسوعته الأولى الفريدة والشهيرة "معالم الأدب العربي المعاصر" وتحوى أكثر من عشر مجلدات :

١- معركة المقاومة والتجمع والحرية .

٢- المحافظة والتجديد فى النثر .

٣- المعارك الأدبية فى الشعر والنثر واللغة والثقافة والقومية العربية .

٤- معركة التغريب فى الفكر العربي.

٥- الصحافة السياسية فى الأدب العربي المعاصر .

٦- الشعر العربي المعاصر : تطوره وأعلامه .

٧- القصة العربية المعاصرة : تطورها وأعلامها .

٨- معالم الأدب العربي المعاصر بعد الحرب العالمية الثانية .

٩- حقائق السياسة والفكر والاجتماع فى الأمة الإسلامية .

١٠- اللغة العربية بين حماتها وخصومها .

وخلال هذه المرحلة ألف فى التراجم والسير والتاريخ، وتتبع سير المشاهير لأن الكفاح والنضال فى هذه الأيام قد اشتد،

وكانت نكبة فلسطين فى ١٩٤٨، فلابد من إيجاد العبرة من التاريخ التى تهيج المشاعر وتوقظها، وكذلك قيام ثورة يوليو المجيدة عام ١٩٥٢م، والانتصارات التى حققتها فى مبدأ أمرها، وكان الناس تؤيدها تأييداً جارفاً، وشارك الجندى فى هذا التأييد، فكتب أكثر من سيرة عن جمال عبدالناصر، لا ينافقه ولا يصنع منه إلهاً كما فعل غيره، ولكن عندما اكتشفت حقائق هذا العصر، هاجمه بكل شراسة، لم "يشخصن" الموضوعات، وإنما تحدث بموضوعية كاشفاً النقاب عن الأهوال التى حدثت، والتي انتهت بهزيمة ١٩٦٧م، ومن كتبه :

"الإمام المراغى"، و"أعلام الإسلام"، و"الرسول الإنسان وأعلام الإسلام"، و"الأعلام الألف" فى أربعة أجزاء، ترجم فيه بأسلوب بسيط "تلغرافي" لألف علم من أعلام التاريخ الإنساني، كما كتب عن "زكى مبارك"، و"وجرجى زيدان"، وله فى سلسلة أعلام العرب "أحمد زكى شيخ العروبة"، و"عبدالعزيز جاويش".

المرحلة الثانية : وهى التى تفرغ فيها للفكر الإسلامي وهمومه ومشاكله والرد على المبشرين والمستشرقين ومن سار على دربهم، والحقيقة أننا لا نستطيع أن نميز بين المرحلتين تمييزاً دقيقاً، وفى هذه الفترة توغل فى البحث فى التاريخ الحضاري للمسلمين ومواطن القوة والضعف، كان يطلع على أمهات الكتب وكتب الغربيين ليرد عليها إن شطح أصحابها أو تعمد الإساءة للإسلام، وتسلح أنور الجندى بكافة أنواع الأسلحة التى كان يرد بقوة تصاحبه الحجة القوية التى تدعم موقفه، وتمخضت عن هذه الفترة المئات من الكتب والرسائل التى سهر الليالي والأيام فى إعدادها ومنها :

"الصراع بين الإسلام والاستعمار"، و"أضواء على تاريخ الإسلام"، و"سموم الاستشراق والمستشرقين"، و"أصالة الفكر الإسلامي فى مواجهة الفكر الغربي"، و"العودة إلى المنابع"، و"إعادة النظر فى كتابات العصريين فى ضوء الإسلام"، و"محاكمة فكر طه حسين"، و"من التبعية إلى الأصالة"، و"قراءة إسلامية لتاريخنا الحديث"، و"أسلمة المعرفة"، و"نقد مناهج الغرب"، و"الضربات التي وجهت للأمة الإسلامية"، و"اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار"، و"أخطاء المنهج الغربي الوافد"، و"تاريخ الصحافة الإسلامية"، ومن إسهاماته أيضا كتاب "الصحافة والأقلام المسمومة" الصادر عن دار الاعتصام لعام ١٩٨٠م وفيه يحمل

على منهج بعض الصحف المصرية في نشر ما أسماه "منهج زعزعة أسس المجتمع الإسلامي" في الفترة ما بين نكبة ١٩٤٨م ونكسة ١٩٦٧م، كما يتضح من عنوان الكتاب الفرعي، وكان آخر كتبه هو كتاب "نجم الإسلام لا يزال يصعد"، وقد أوصى قبل وفاته بأن يتم تصنيف كتبه ومكتبته كلها، ثم دفعها لمؤسسة إسلامية تقوم بطرح هذه المكتبة للجمهور من القراء والباحثين للاستفادة منها، وقد شدد على أن كل تراثه الفكري يجب أن يكون وقفاً للمسلمين وغيرها الكثير.

فكره :

وهب أنور الجندى حياته للدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية فى صراعها مع الغرب الثقافي والفكري .. الذى يهيمن على حضارتنا العريقة التى أسدت الكثير للبشرية ، ولم تكن يوماً عدوانية، وإنما حضارة سلم تنير ولا تظلم، وإن اعتراها بعض فترات الوهن فليس عيب فيها وإنما عيب فى أهلها الذين هانوا على أنفسهم فهانت أنفسهم .

(١) تناول قضايا العصر ومشاكله التى تواجه المجتمع الإسلامي وفرضتها تحديات العصر والحضارة وخاصة فى مجال الإنسان والمجتمع وتتصل هذه التحديات من حيث الإيمان والإلحاد وتمتد هذه القضايا إلى الفروق الواضحة بين الدين والعلم، وبين العلم والفلسفة، وبين علاقة الإنسان بالأخلاق والفنون والآداب ولقد ألقت إلينا الفلسفة المعاصرة وجهات نظر متعددة فى هذه القضايا ، وحملت دعوات الغزو الثقافي والقوى الاستعمارية هذه الآراء والنظريات بهدف واضح وفى هذا يقول : "لقد جاءت تبعية المسلمين والعرب للفكر الغربي فى ظل تحديات واضحة من خلال الاستعمار والسيطرة التى فرضها النفوذ الأجنبي على التعليم والصحافة ، ومن خلق أولياء لثقافته، وهم عملاء له فى نفس الوقت، ولم تكن هذه التبعية اتجاها طبيعياً من المسلمين والعرب ولا رغبة أصلية منهم وإنما كان ذلك قسراً وغصباً" ... (٥)

الهوامش :

١- محمد المجذوب هؤلاء عرفتهم، ج٢، ص٤٥ - دار الاعتصام .
٢- هؤلاء عرفتهم، مرجع سابق ص ٤٦
٣- هؤلاء عرفتهم، مرجع سابق ص ٤٧
٤- هؤلاء عرفتهم، مرجع سابق ص ٤٨
٥- أنور الجندي، قضايا العصر فى ضوء الإسلام، سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة ١٩٧١، ص ١٨

مع الباعة والمكتبات ودور النشر

خصم ٢٠٪ لقراء المختار الإسلامي وللجملة سعر خاص

اسم الكتاب	اسم المؤلف	السعر
مكتبة أحمد ديدات (٨ أجزاء)	أحمد ديدات	١١٧,٠٠
كلمتنا فى الرد على أولاد حارتنا	عبد الحميد كشك	٢٠,٠٠
قصة أيامى - مذكرات الشيخ كشك	عبد الحميد كشك	٢٠,٠٠
فتاوى الشيخ كشك (جـ١ إلى جـ٧)	عبد الحميد كشك	١٠٢,٠٠
آيات الرحمن فى خلق جلد الإنسان	د. محمد زكريا	٦,٠٠
علم اليقين فى خلق الجنين	د. محمد زكريا	٧,٠٠
آيات الرحمن فى خلق قلب الإنسان	د. محمد زكريا	٨,٠٠
آيات الرحمن فى خلق عين الإنسان	د. محمد زكريا	١٠,٠٠
آيات الرحمن فى خلق سمع الإنسان	د. محمد زكريا	١٠,٠٠
سيد قطب بين معارضيه ومؤيديه	أحمد عبد المجيد	١٥,٠٠
عقيدة الشهيد المفترى عليها	ولاء حامد	٥,٠٠
محاولة فاشلة لتنصير طالب أزهرى	د. عبد الودود شلبى	٥,٠٠
القابضون على الجمر	محمد أنور رياض	١٢,٠٠
مختصر السيرة النبوية	د. صلاح عدس	٤,٠٠
قصص القرآن للأطفال (١٥ جزء)	عماد الدين شرف	٤٥,٠٠
قصص الحيوان المصورة بالألوان	عاطف سعودي	٤,٠٠
الإسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه	عبد القادر عودة	٤,٠٠
المال والحكم فى الإسلام	عبد القادر عودة	٥,٠٠
الإسلام وأوضاعنا السياسية	عبد القادر عودة	١٠,٠٠
الإسلام وأوضاعنا القانونية	عبد القادر عودة	٥,٠٠
البابا الذى لا يعرف شيئا	د. عبد الودود شلبى	٦,٠٠

ومقرنا : ٣ حارة الجمل - السيدة زينب - تليفون وفاكس ٢٣٩٢٢١٥١

سلسلة روايات إسلامية

كتاب المختار

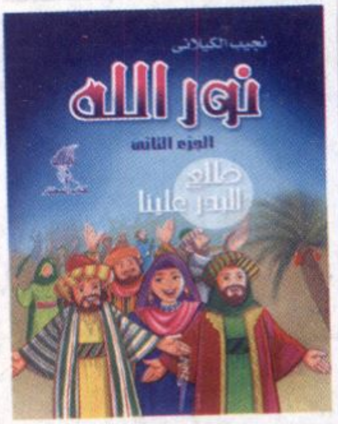

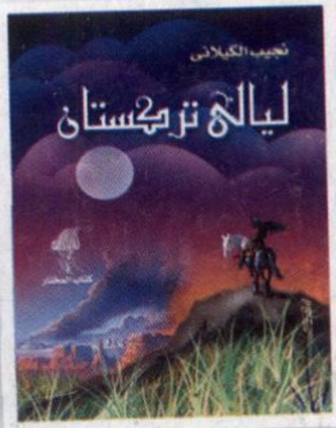

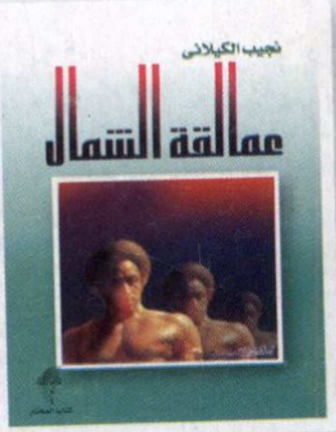

حاليا مع الباعة والمكتبات

وتوزيع الأخبار